الرياء والازدواجية لدى الشخصية اليهودية
يهود المارانوس
فى رواية הר האנוסים "جبل المقهورين "

أ.د. أحمد كامل الرواي(*)

المقدمة

تعد قضية تخفى اليهود فى المجتمعات الأخرى من القضايا المهمة والشائكة فى الصراع الدينى والفكرى بين اليهود وغيرهم، حيث اتخذ اليهود من النفاق أسلوبا وسلاحا لحرب الآخر . وقد ظهرت على مر العصور جماعات يهودية تتخفى وهم يبطنون اليهودية ومن أشهرهم يهود الدونمة فى تركيا والمارانو فى أوربا الذين ظلوا لعهود طويلة على نفاقهم بين المسيحيين دون أن يشعر بهم أحد . ويأتى الأديب الإسرائيلى أمنون شموس(١) فيتخذ من هذه الجماعة موضوعا لروايته **הר האנוסים** جبل المقهورين. وقد تم اختيار دراسة هذا الموضوع لأهميته البالغة، ورغم أهميته لا توجد دراسة فى مجال الأدب العبرى تتناول هذه الجماعة التى تعكس ظاهرة نفاق اليهود فى مجتمع غير مجتمع اليهود ، كما أنه لم يتم التطرق لهذه الرواية رغم أهمية موضوعها من قبل ، ونظرا لأهمية الموضوع المطروح فى الرواية فقد آليت على نفسى التطرق إليه ودراسته.

وتهدف الدراسة فى هذا الفصل إلى:

- الكشف عن أسباب دخول اليهودى فى المسيحية نفاقا
- معرفة نمط حياة المارانو وكيفية العيش داخل حياة مزدوجة بين اليهودية والمسيحية

(*) رئيس قسم اللغة العبرية وآدابها – بكلية الآداب – جامعة حلوان

- إماطة اللثام عن الحياة الاجتماعية للمارانو وأسلوب الزواج لديهم
- كيفية تنشئة المارانو لأولادهم وأسلوب تربيتهم فى مجتمع المسيحيين
- الكشف عن موقف المارانو الحقيقى من المسيحية ونظرتهم للمسيحيين
- إماطة اللثام عن موقف المارانوس الحقيقى من اليهود
- الكشف عن علاقة المارانو باليهود ودورهم فى حياتهم
- إظهار نظرة اليهود الحقيقية للمارانوس وموقفهم منهم

التعريف بالمارنوس وتاريخهم

المارانوس هم طائفة من اليهود ظهرت فى أسبانيا والبرتغال منذ بداية القرن الخامس عشر الميلادى عندما قوى أمر المسيحية الكاثوليكية فى تلك البلاد و نجحت فى طرد المسلمين وإزاله الإسلام منها. (٢) وكلمة مارانو أطلقت على أولئك اليهود المتخفين فى أسبانيا والبرتغال الذين تراجعوا ظاهريا عن اليهودية وادعوا اعتناق المسيحية الكاثوليكية حتى يتمكنوا من البقاء فى شبه جزيرة أيبيريا مع توتر الحكم الإسلامي وبعد طرد يهود البرتغال عام١٤٨٠ وطرد يهود أسبانيا ١٤٩٢.(٣)

كان هؤلاء اليهود المتنصرين يسمون بالأسبانية "كونفيرسوس" بمعنى المعتنقين للدين، وكان البرتغاليون يسمونهم "كريستاوس نوفوس" بمعنى المسيحيون الجدد.

عرف اليهود الذين تنصروا فى فترة الحكم المسيحى الكاثوليكى باسم **האנוסים** وهى كلمة عبرية معناها المكرهون أو المضطرون أو المغلوبون على أمرهم لأجل تغيير دينهم إلى المسيحية.(٤)

أما كلمة مارانوس فقد اختلف فى أصلها، قيل إنها تحريف لكلمتين تبدأ بهما صلاة مسيحية بالآرامية هما "مارن آث" ومعناها "أنت مولانا" والخطاب موجه إلى المسيح، وكان محتوما على اليهودى الأندلسى الأصل أن ينطق بهما كثيرا لإبعاد الشبهة عن نفسه ثم أصابها التحريف فصارت ماراناس ثم مارانوس.

هناك رأى آخر هو أقرب إلى المعقول خلاصته أن "مارانو" باللهجة العامية الأسبانية القديمة كان معناها الحنزير فتكون "مارانوس" صفة ذم للذين دخلوا الدين المسيحى وهم غير أوربيين ولا ينحدرون من أصول لاتينية، كاليهود، ويكون المراد وصفهم بأنهم خنازير.

على أية حال فإن كلمة مارانوس أصبحت فى الأسبانية والبرتغالية والفرنسية تعنى المنافق والخائن والدنىء واللص والكذاب ونحو ذلك من صفات اللؤم والخسة.(٥)

وفى ذلك ما يشير إلى مقدار ما كان يشعر به الأسبانى العادى من احتقار نحو هؤلاء اليهود غير المخلصين الذين ازداد عددهم وزاد نفوذهم.(٦)

وبالنسبة لتاريخ المارانوس فقد عاش اليهود فى الأندلس ،أسبانيا والبرتغال، منذ أزمنه طويلة يصعب تحديدها على وجه الدقة فقد قيل إن تواجد اليهود فى أسبانيا يرجع إلى زمن التشتت الأول بعد أن قضى نبوخذ نصر على ممتلكتهم عام ٥٨٦ ق.م ، فتشتت اليهود فى بقاع مختلفة.وخرج بعضهم متجها إلى تلك البلاد حيث أقاموا فيها.(٧)

والذي يتفق عليه معظم المؤرخين هو أن هجرات جماعات يهودية كبيرة إلى أسبانيا بدأت بعد طردهم من فلسطين فى عهد الإمبراطور الروماني أدريان بعد الثورة التى قاموا بها فى فلسطين عام ١٣٤ . وكان أدريان يكره اليهود كراهية شديدة وقد عمل على تمزيق شملهم وإخراجهم من فلسطين. (٨)

ويرى كثير من الباحثين أن اليهود يتواجدون فى أسبانيا قبل أن يستسلم الرومان للبربر بفترة طويلة يصعب تحديدها، غير إنه من المرجح أنهم استقروا هناك قبل أن يستسلم الرومان للبربر وتقيم أسبانيا مملكة قوطية مسيحية(٩)

على أية حال فإنه من الثابت أنه هناك جالية يهودية كبيرة عاشت فى أسبانيا فى القرن الثاني الميلادى. وأنهم قد تزايدوا وكثرت أعدادهم بمرور الزمن، وكانت هناك تجمعات لليهود فى المدن الكبيرة. وفى غضون القرن الثالث ميلادي استقر الحال بهؤلاء اليهود تحت حكم القوط الوثنيين الذين كانوا يحكمون البلاد قبل أن تدخل المسيحية إليها. ويؤكد المؤرخون أن حياه اليهود فى ظل القوط كانت إلى حد ما يسودها الاستقرار، غير أنه بدخول

المسيحية إلى تلك البلاد بدأت فترة جديدة لم ينعم فيها اليهود تقريبا بشيء من الهدوء والاستقرار، وذلك لأن ملوك أسبانيا قد اعتنقوا الدين المسيحى فبدأت الأمور تشهد أحداثا مغايره تماما؛ وذلك لأن المعاملة الكريمة التى عرفت عن هؤلاء الحكام قد تبدلت وأخذوا فى اضطهاد اليهود والبعد عنهم ومحاولة عزلهم عن المجتمع خاصة بعد تلك القرارات التى أصدرها المجمع الكنسى الذى انعقد فى عام ٣٠٦م. وتقضى هذه القرارات بالحد من الحرية الممنوحة لليهود وكذا وضع فوارق واضحة بينهم وبين المسيحيين. ولقد أصدر ريكارد الأول (٥٨٦– ٦٠١ م) أوامره المتشددة بمنع اليهود من شراء عبيد من المسيحيين، وكذلك عدم السماح لليهود بالزواج من نساء مسيحيات أو الاشتغال بالأمور السياسية. ([١٠]) وكذلك منع استخدام اليهود فى الأعمال، ومنع الختان وحرمان اليهود من مزاولة شعائرهم الدينية، وضرورة تعليق اليهودى شارة مميزة فى مكان ظاهر حتى يعرفه المجتمع. ([١١])

فى عهد سيسوت (٦١٢ –٦٢٠) بدأ يشتد الضغط على اليهود؛ حيث أجبروا على إخلاء سبيل عبيدهم المسيحيين وترك الخيار لليهود إما أن يعتنقوا المسيحية أو أن يغادروا البلاد بلا رجعة. وبطبيعة الحال تظاهر كثيرون منهم بالارتداد إلى المسيحية ؛ وذلك خوفا على حياتهم وممتلكاتهم التى كان سيصادرها الحكام المسيحيون. وفى اجتماع المجلس الكنسى فى دورته الرابعة أصدر هذا المجلس قراراته بأن يسلم اليهود أبناءهم عند بلوغهم سن السابعة إلى الكنيسة لتقوم بدورها بتعميدهم وتربيتهم على أنهم أطفال مسيحيون معمدون ومن يرفض الأوامر ويتمسك بدينه يباع كما يباع العبيد.([١٢])

ونتيجة لتلك المعاملة التى واجهها اليهود من الجانب المسيحى فقد لقى الفتح الإسلامى للأندلس بقيادة طارق بن زياد عام ٧١١ ترحيبا كبيرا من جانب اليهود. ويذكر بعض الباحثين أن اليهود قد ساعدوا العرب فى فتحهم للبلاد مساعدة فعاله، فقد سهلوا لهم التعرف على البلاد ومداخلها. ([١٣]) وقابل اليهود الفاتحين الجدد كمحررين لهم من

ظلم القوط الغربيين وأصبحت مدن الأندلس مركزا ثقافيا عالميا. ونظرا لاعتدال حكم المسلمين فقد جذبت الأندلس إليها اليهود من أقصى البلاد حتى بلاد بابل وفارس؛ فلم يجدوا بلدا آخر يلجأون إليه خيرا من الأندلس حيث سماحة الإسلام وسعة الحياة المادية والروحية فتدفقوا إليها. (١٤) وبدأت الأندلس تشهد موجة هجرات متتابعة من يهود أوربا طمعا فى الحياة الكريمة فتجمعوا فى قرطبة وطليطلة وإشبيلية وسراقسطة، وصارت لهم أحياء سكنية كاملة خاصة بهم. بل وصار اليهود أغلبية فى بعض المدن مثل اليسانة وغرناطة. (١٥)

فى ظل الحكم الإسلامى الذى اتسم بالتسامح تمكن اليهود من ممارسة شعائرهم دون خوف وأن يقيموا طقوسهم الدينية دون فرض أية قيود تحد من حرياتهم، كما سمح لهم ببناء المعابد. وقام اليهود بإحداث نهضة شاملة فى مجالات الترجمة والفلسفة وجمع بعضهم الطب مع الفلسفة مثل موسى بن ميمون. (١٦) وأنجز اليهود فى هذا العهد الأندلسى ما لم ينجزوه فى أى عهد، وتلك الفترة التى عاشها اليهود فى الأندلس يعتبرونها العصر الذهبى لهم؛ فهذا العصر زاخر بالشعراء والنحاة والفلاسفة والعلماء ورجالات الدولة. (١٧)

مع تفكك الخلافة الأموية والحكم المركزى فى أسبانيا انقسمت أسبانيا إلى دويلات وإمارات إسلامية صغيرة فيما يعرف بحكم الطوائف ١٠٠٨ . ومع صعود أسرة المرابطين ١١٤٦ عاد اليهود للظهور لكن أخذ الحكم الإسلامى فى الانحسار التدريجى بعد ذلك التاريخ. ومع انحسار قوى المسلمين وتلاشى سلطانهم عن البلاد وظهور قوى المسيحية مرة أخرى بدأ الصراع يظهر مجددا بين اليهود و المسيحيين.(١٨)

أما عام ١٣٩١ فكان فارقا فى تاريخ يهود المارانو ؛ فبعد استرداد المسيحيين أجزاء كبيرة من أسبانيا قامت اضطرابات شعبية وحكومية ضد اليهود والمسلمين فى جميع أرجاء البلاد فمات كثيرون وغير كثيرون ديانتهم وأخفى يهود آخرون ديانتهم خوفا من البطش.(١٩)

فى عام ١٤١١ – ١٤١٢ وبعد سقوط غرناطة طرحت مشكلة سكانية واجهت الدولة المسيحية الجديدة وهى أن معظم سكان شبه الجزيرة الأيبيرية كانوا إما يهودا أو مسلمين

فى الوقت الذى يشكل فيه المسيحيون أقلية وهذا فرض على الدولة . لتحافظ على أمنها الداخلى . طرد العناصر غير المسيحية لإيجاد نوع من التوازن السكانى لصالح المسيحيين ، فعرض على المسلمين واليهود إما التنصير أو مغادرة البلاد فتنصرت أعداد كبيرة من اليهود انضمت إلى الأعداد التى تنصرت من قبل، لكن العناصر المتدينة التى رفضت التنصير لجأت إلى البرتغال لأنها قدمت لهم حق اللجوء مقابل ضريبة يدفعونها. (٢٠)

فى ١٤٩٢ تم طرد اليهود من أسبانيا؛ فانتقل ١٢٠ ألفا إلى البرتغال، بعد أن تم طرد ما بين ١٥٠ ألفا إلى ٢٥٠ ألف يهودى ولم يبق سوى يهود المارانو المتخفين. وفى عام ١٤٩٥ تولى حكم البرتغال الملك مانويل الأول الذى طمع فى توحيد شبه جزيرة أيبيريا وذلك عن طريق تزويج ابنه فرديناند من ايزابيلا ابنة ملك أسبانيا الذى اشترط عليه طرد اليهود من حدود مملكته لكى يبطل تأثيرهم فى اليهود الذين تنصروا فى أسبانيا، مما اضطره إلى إرغام اليهود على التنصير القسرى عام ١٤٩٧ لأنه لم يستطع أن يتخلى عنهم كجماعة يستفيد من خبراتها التجارية بعد بناء الإمبراطورية التجارية التى كان يطمح إلى تكوينها فاندمجوا فى مجتمع الأغلبية، وظل هناك من يمارس الطقوس اليهودية سرا. (٢١)

شكلت كل هذه العناصر المارانو ،التى تألفت من عناصر يهودية تنصرت قسرا وادعت المسيحية وعناصر أخرى تنصرت طوعا.

رواية جبل المقهورين للأديب أمنون شموش

تدور الرواية حول نسيم الصفدى الإسرائيلى الذى يقوم برحلة للبحث عن جذور عائلته بعد أن علم أن جده من أصل أندلسى وينتمى لعائلة من المارانوس، فيسافر إلى أسبانيا ومنها إلى البرتغال ليستقر به الحال فى مدينة بلومنته حيث تعيش جماعة كبيرة من اليهود المتنصرين حافظت على الديانة اليهودية فى الخفاء على مدار ٥٠٠ عام، ورغم ذلك فهم يتظاهرون بأنهم مسيحيون كاثوليك . وفى الخفاء يحافظون على العادات والتقاليد اليهودية ويحتفلون بالأعياد اليهودية.

يستعرض شموش فى الرواية قصة جماعة المارانوس المتظاهرة بالمسيحية التى تبطن اليهودية وتاريخ أعلامها، فيستعرض حياة أحد أهم شخصياتها وهى الدونة جراتسيا إحدى أهم بنات هذه الجماعة فى القرن السادس عشر والتى تميزت بثرائها الفاحش وعلاقاتها التجارية الدولية وذكائها واستخدامها لكل هذه المميزات فى خدمة المارانوس وفى خدمة اليهود. ويستعرض الأديب كيف تمكنت هذه المرأة بمكرها ودهائها من التنقل بممتلكاتها وثرواتها الطائلة من دولة لدولة حتى وصلت فى نهاية الأمر إلى القسطنطينية، وهناك فى ظل سماحة الإسلام وحماية سلطان تركيا المسلم عادت إلى اليهودية علانية وهجرت المسيحية بعد أن تظاهرت بها طيلة عمرها. ثم حلمت بالعودة إلى فلسطين وبناء مملكة لليهود بها. إلا أن الحلم لم يتحقق.

ويركز الأديب فى الرواية على تطلعات المارانوس للخلاص، والحلم بمقدم مسيح يهودى يخلص اليهود من الشتات ويعيدهم إلى فلسطين بما فيهم يهود المارانو، وسيطرة حلم العودة إلى اليهودية دين الأجداد على المارانوس.

أما جماعة المارانو كما ظهرت فى رواية جبل المقهورين لأمنون شموش فجاءت على النحو التالى:

أولا : دوافع تنصر يهود المارانوس

شهدت أسبانيا سلسلة من الملاحقات نتج عنها طرد اليهود من الأندلس وبقى فيها فقط الذين قبلوا اعتناق المسيحية طواعية أو جبرا حرصا على حياتهم وممتلكاتهم. أما اليهود الذين تمسكوا بيهوديتهم وتوجهوا للبرتغال فبعد أن استقرت الأحوال لم يهنأوا بالعيش طويلا فى سلام ؛حيث فرض عليهم التنصر من الملك مانويل. وعندما عرض الأديب حياة يهود الأندلس ودخولهم النصرانية رأى أن معظم المارانو قد أجبروا على الدخول إلى المسيحية؛ حيث إنه يقول على لسان أحد أبطاله إن العالم

المسيحى . والمقصود به فى ذلك الحين أسبانيا والبرتغال . رفع شعار إما اعتناق المسيحية أو الموت فأجبر اليهود على اعتناق المسيحية خوفا على حياتهم:

" الشعار المتردد فى بلاد المسيحيين – الصليب أو الموت." (٢٢)

وهنا يعرض شموش الوضع السائد فى بلاد النصارى والأندلس بصفة عامة من وجهة نظر المارانوس؛ أما قبول المسيحية أو الموت وهو ما دفع اليهود للتنصر جبرا. لكن يبرز من بين اليهود من اختار التنصر حفاظا على ممتلكاته وتجارته أثناء فترات الطرد التى تعرض لها اليهود فآثروا ادعاء المسيحية فى الظاهر للبقاء والاحتفاظ بأملاكهم ، وهو ما فعلته الثرية اليهودية لويزا التى تنصرت فى الظاهر للحفاظ على ممتلكاتها وممتلكات أسرتها.

"لويزا هنريكس تنصرت، هى وزوجها وأولادها. لم يرغبوا فى التنازل عن أملاكهم فى المدينة، وفى القرية وعن قصرهم فى مرتقى الجبل" (٢٣)

يصور هنا الأديب تنصر فئة من المارانو للحفاظ على ممتلكاتهم من منطلق تحقيق مصلحة أو فائدة شخصية والدخول طواعية فى جماعة المارانو للحفاظ على ممتلكاتهم.

لم يكن هذا هو الحال فى أسبانيا فقط بل أيضا فى البرتغال؛ حيث إن اليهود الذين فروا هربا من أسبانيا إلى البرتغال لينجوا بحياتهم ودينهم اصطدموا فى البرتغال بتغيير الحال ؛ فقد خيروا فى البرتغال بين الطرد أو التنصير والبقاء فآثر البعض التنصر والبقاء للحفاظ على الممتلكات والتجارة وهو ما حدث لعائلة فرنسيسكو ومندس:

" من البداية، نعم بالطبع، فرنسيسكو وديجو مندس كانا يهوديين أسبانيين، هربا من محاكم التفتيش عام ١٤٩٢ إلى البرتغال بجميع ممتلكاتهما. هناك استمرا بتجارتهما العالمية التى هى فى الأساس أحجار كريمة، وعطور وتوابل، وفى المقابل

أنشأ الاثنان بنكا كبيرا. وعندما خيرتهما البرتغال أيضا بين اعتناق المسيحية أو الرحيل، اعتنق الاثنان الديانة المسيحية. ولكن هناك من يقول إنهما فعلا ذلك ظاهريا فقط ، وفى الخفاء بقيا يهوديين خنزيرين، كمن يسمون بالمارانو." ([٢٤])

وهكذا نجد أن الأديب يعرض من خلال روايته اتجاهين يمثلان فئتين من المارانو : فئة من المتنصرين دخلوا المسيحية ظاهريا رغما عنهم حيث خيروا بين المسيحية والموت فاختاروا المسيحية مجبرين للحفاظ على حياتهم، وفئة أخرى اختارت المسيحية ظاهريا طواعية بإرادتهم وذلك من أجل الحفاظ على ممتلكاتهم أو الحفاظ على تجارتهم وأعمالهم. ليشكل الفئتان ،هؤلاء المجبرون وأولئك الذين اختاروا بإرادتهم . معا . المارانو الذين اعتنقوا المسيحية ظاهريا فقط.

ثانيا: المارانوس بين إظهار المسيحية وإبطان اليهودية

عاش المارانو فى خليط عجيب من الطقوس: يظهرون النصرانية ويبطنون اليهودية. وكان أول عمل يقوم به المتنصر حين يدخل المسيحية هو التعميد؛ ويحمل التعميد معنى مهما لأن الكاثوليكية تعتبر عقدا بين المعمد والكنيسة فإذا أخلفه حق عليه العقاب، وكان أداء التعميد يعد ميلادا جديدا للمتنصر. وكان اليهودى المتحول للمسيحية يلتزم بأداء قسم أمام الكنيسة ويلاحظ أن الالتزام بتطبيق المسيحية كان صارما وأن أى تهاون عن هذا الالتزام سوف يعرض صاحبه لعقوبة شديدة تصل إلى الموت أو الحرق. ([٢٥])

وقد عز على اليهود المتنصرين أن يتركوا ديانتهم القديمة بالقوة فاتفقوا سرا فيما بينهم بأن يعيشوا فى بيوتهم وفى المجتمع مثل الكاثوليك تماما، وأن يبنوا الأحياء التى يعيشون فيها معابد شكلها الخارجى كالكنيسة الكاثوليكية بكل ما يمكن أن تحتوى من أجراس وصلبان وصور وتماثيل حتى إذا اجتمعوا فى داخلها عادوا يهودا كما كانوا يتعبدون حسب الطقوس الإسرائيلية.([٢٦])

لقد مارس المارانوس الذين تحولوا إلى المسيحية جميع الشعائر التى تقتضيها الديانة المسيحية فى العلن كمحاولة لإظهار صدق تنصرهم، فكانوا يعمدون أطفالهم بحسب

التقليد المسيحى، ويذهبون إلى الكنيسة يوم الأحد. كما يذهبون للاعتراف دون أن يدلوا بأية اعترافات حقيقية. وكانوا يتناولون القربان فى الكنيسة ،ثم يبصقونه خارجها، وفى نفس الوقت يحرصون على أداء شعائرهم اليهودية داخل بيوتهم.([٢٧])

يعكس شموش هذه الحقائق حيث جمع المارانو بين المسيحية فى العلن والتمسك باليهودية فى السر، فيقول على لسان أبطاله:

" تذكر ما درسه فى الثانوية عن طرد أسبانيا والبرتغال وعن عشرات الآلاف من اليهود المتنصرين الذين بقوا فى تلك البلدان، يتظاهرون كمسيحيين متزمتين ويحتفظون بيهوديتهم فى السر. قرأ وسمع عن هؤلاء المتنصرين" ([٢٨])

ويؤكد الكاتب على لسان أبطاله من يهود المارانوس أنفسهم أنهم يتظاهرون كنصارى بينما يحتفظون باليهودية سرا جيلا عبر جيل.

"أجداد أجدادنا، من قبل خمسمائة عام كانوا يهودا، يهودا وصلوا إلى هنا من أسبانيا المجاورة كنصارى جدد، ولتعلم أنه من يوم وصولهم إلى هنا نمت بلومنته وازدهرت..ماذا أقول لك؟ النصف الثانى من الحقيقة هو أننا حافظنا على يهوديتنا فى الخفاء، جيلا بعد جيل بقوة وخوف" ([٢٩])

يتناول الأديب هنا جمع المارانو بين العقيدتين كنصارى جدد فى العلن وكيهود فى السر. أما مظاهر المسيحية التى أظهرها يهود المارانو فى العلن فى المجتمع المسيحى الأسبانى والبرتغالى فقد عكسها الأديب شموش فى روايته على لسان أبطاله بأنهم نصارى مخلصين للمسيحية فذهبوا إلى الكنيسة يوم الأحد وعمدوا أولادهم واعترفوا لدى الكاهن ودفنوا موتاهم فى مقابر المسيحيين، بل إنهم تظاهروا بالحماس للمسيحية واحتفلوا بالأعياد المسيحية فى العلن ، فيقول شموش على لسان أحد أبطاله من يهود المارانو فى حوار له مع شخص يهودى خالص:

"إذن بماذا أنتم مسيحيون؟ كاثوليك؟

بماذا ؟ فى كل شىء، فى سلوكنا الخارجى ،لكن ليس فى داخلنا، هذا يبقى بيننا، واضح؟ نحن نعمد الأولاد، ونذهب إلى الكنيسة فى كل يوم أحد، ونتزوج ونعترف عند القس وندفن فى مقابرهم. نحن نحتفل بكل أعياد المسيحيين بعناية كبيرة.

إذا كنتم نصارى إلى هذا الحد، فأين يهوديتكم إذن؟

أنت مدعو عندنا غدا لإيقاد شموع السبت." (٣٠)

فكما صور الأديب نجد أن المارانو يتظاهرون بشتى الوسائل بالمسيحية لخداع المجتمع المسيحى المحيط بهم، فحرصوا بشدة على ألا يفوتوا الفرصة للتظاهر بالولاء للمسيحية فى كل مناسبة وإظهار مدى إخلاصهم للمسيحية، والتزامهم بتعاليمها فى العلن لإيهام المسيحيين بأنهم مثلهم تماما مسيحيون مخلصون للعقيدة المسيحية حتى أن كثيرا من المسيحيين اعتقدوا أنهم مسيحيون مخلصون لا يشوب إيمانهم بالمسيحية شائبة وهو ما يظهر فى حوار بين أبطال الرواية:

"هؤلاء اليهود هنا فى القرية منذ متى تعلم عن حياتهم المزدوجة؟

لا يوجد يهود فى القرية. أنت أول يهودى فى هذه القرية منذ خمسمائة عام. إنهم نصارى صالحون، أول القادمين إلى الكنيسة ، يكثرون من التبرع، يكثرون من الصلاة والاعتراف."(٣١)

رغم أن يهود المارانو حاولوا فى العلن أن يتظاهروا بالإخلاص للمسيحية وبالحماس لشعائرها وتقاليدها إلا أنهم فى داخلهم كانوا يفعلون هذا الأمر وهم مرغمين وغير مخلصين فى داخلهم للمسيحية وتعاليمها. ويعكس الأديب هذه الحقيقة على لسان أبطاله:

"هربوا فى ظلام الليل واجتازوا الحدود إلى البرتغال، أقاموا فى لشبونه بين جماعة من النصارى الجدد. حرصوا على المثول فى الكنيسة كل يوم أحد. علمت لويزا أبناءها وبناتها كيف يتمتمون بصلوات عبرية فى الوقت الذى يرتل الجميع باللاتينية وكيف يخرجون من أفواههم "الخبز المقدس" الذى يضعه الكاهن على لسانهم دون ابتلاعه." (٣٢)

يوضح هنا الأديب حقيقة مهمة وهى تأدية يهود المارانو طقوس المسيحية دون الاقتناع بها ، بل ورفضها من الداخل. فالمارانوس الذين أظهروا المسيحية وأبطنوا اليهودية كان بعضهم مع ذلك لا يستطيع أن يخفى احتقاره للمسيحية حيث اضطر أحد المارانوس فى الصلاة فى كنيسة كاثوليكية عندما كان المصلون يمثلون أمام تمثال المسيح على الصليب سمع هذا اليهودى المتنصر يتمتم وآسفاه من الذى يرى هذا ويستطيع الإيمان به فسمعه بعض الحاضرين وذهب يشكو إلى أمير أشبيلية.(٣٣) وهذا يجسده بالفعل الأديب على لسان أليجيرا إحدى المتنصرات التى تقول:

"حكت له اليجيرا أنهم علموها بأن تقول فى داخلها عند دخولها الكنيسة: "إننى أدخل إلى هذا البيت لكننى لا أؤمن لا بخشب ولا بحجارة إنما أؤمن بالله العلى"(٣٤)

يعكس هنا شموش الواقع الداخلى لدى يهود المارانوس حيث الإيمان الظاهرى بالمسيحية وأداء طقوس المسيحية علانية فى حماس رغم عدم إيمانهم بالمسيحية فى داخلهم.

ثالثا : الأثر النفسى لنمط حياة المارانو المزدوجة

لم يؤمن المتنصرون المارانو بالثالوث ولم يؤمنوا بيسوع، لكنهم كانوا يؤمنون أنه عندما يأتى المسيح ابن داود سوف يتم تخليصهم كما كانوا يشعرون بالإثم بسبب تنصرهم.(٣٥) ولقد أصر اليهود المتنصرون فى البرتغال على الحفاظ على يهوديتهم وتقاليدهم وكذلك إخلاصهم لليهودية على مدار أكثر من خمسمائة عام منذ التحول إلى المسيحية. فهم لا يزالون يعيشون هوية مزدوجة ويحافظون على عاداتهم وتقاليدهم وأنماط حياتهم المزدوجة التى تجمع بين اليهودية والمسيحية. (٣٦)

يصور الأديب الهوية المزدوجة التى يعيشها المارانو فى ظل ازدواجية العقيدة وازدواجية الشعائر والتقاليد فيما يلى:

" عشنا سنوات طوال مع الهوية المزدوجة والنظام الثنائى للأعياد والطقوس والعقائد، وليس من السهل التخلص منها"(٣٧)

ويؤكد شموش على الهوية المزدوجة التى يعيشها المارانو وتأثيرها السلبى فيهم وهو ما زرع فيهم الخوف وأصبح جزء لا يتجزأ من طبيعتهم

" الهوية المزدوجة التى عاشها الناس هنا جيلا بعد جيل عبر مئات السنين أثرت فى نفس كل إنسان فى هذه الطائفة.

كان رامون يتعجب لما يثقل على نفس فتاته: الهوية المزدوجة أم الخوف الدائم من اكتشاف السر." ([٣٨])

يؤكد الأديب هنا على أمر مهم للغاية وهو أن الازدواجية فى الحياة الدينية التى عاشها المارانو زرعت فيهم الخوف، وأثرت في نفوسهم جميعا، بل إنه يؤكد على أنها أكسبتهم طبيعة خاصة جعلتهم خبراء فى التخفى والتنكر.

"كان نسيم يرتدى أقنعة منذ أن وعى نفسه كواحد من أبناء المتنصرين، كان خبيرا فى الأقنعة. ومن وراء هذه الأقنعة أخفى الرجل دهاءه وحيله وأيضا فضولا ذهنيا وتفكيرا عميقا. فوجئ الدون يوسف ناسى عندما طرح نسيم أمامه السؤال: كيف يمكن العيش بعقيدة مزدوجة على طول الأيام والسنين؟ من حسن حظ نسيم أنه ولد يهوديا وعاش يهوديا متكاملا مع نفسه ومع إلهه. جده نسيم الأندلسى ولد يهوديا ومات يهوديا فى الخفاء بعد سنوات طويلة ومريرة من الحياة كمسيحى ظاهريا. لم يكن والد نسيم كذلك والذى كان متنصرا طيلة أيام حياته، قضى سنوات طفولة حزينة فى تربية مسيحية صارمة، وعندما بلغ سن الرشد، الثالثة عشرة، كان ممزقا ومنقسما بين العقيدة التى غرست فيه فى طفولته وبين العقيدة الخفية لآبائه، وجهتا نظر للخير وللشر، للممنوع وللمسموح، والتى لابد أن تصطدما فى نفسه طوال أيام حياته." ([٣٩])

يصور هنا شموش الآثار النفسية والخبرات التى أكسبتها الازدواجية حيث جعلتهم خبراء فى التنكر والتخفى وجعلتهم يتمزقون بين عقيدتين. كما يكشف عن حقيقة مهمة وهى عدم إبلاغ المارانو لأولادهم حقيقة أنهم يهود متخفون إلا بعد بلوغهم سن الثالثة عشر، فيعيش

الشخص فيهم ممزقا بين اليهودية، الخير حسب وجهة نظرهم ونظر الكاتب، وبين المسيحية ، الشر ، بين الممنوع ، اليهودية، والمسموح وهو إظهار المسيحية.

رابعا: تقاليد الزواج عند المارانوس

حرص المتنصرون اليهود على ألا يتزوجوا من أجنبيات منذ بداية تنصرهم، وكان زواجهم يتم فيما بينهم، وساد ذلك جيلا بعد جيل. (٤٠) ويعكس الأديب أمنون شموش تقاليد الزواج السائدة بين اليهود المتنصرين وحرصهم على التزاوج فيما بينهم فقط، وعدم الزواج خارج إطار تلك الجماعة ويظهر هذا فى حوار بين الجد المحافظ على تلك التقاليد الراسخة والحفيدة الشابة التى على وشك الزواج:

"الجد الذى عرف كيف يقرأ أفكارها، مد يده وداعب شعرها. لكن لا تدخلى أفكارا إلى رأسك الصغير، أنت تعرفين أننا نتزاوج فى إطار الطائفة فقط، ومن يعلم أكثر منك أن جدتك فيليسمينا قررت أن تكونى لماركو ابن خالتك.

لكن يا جدى

بدون لكن، وبدون حماقات. التقاليد هى التقاليد. فهذا الشىء الوحيد الذى يحافظ علينا"(٤١)

يبين هذا الحوار بين الجد المحافظ على التقاليد وحفيدته أن الزواج داخل العائلة فقط هو الذى يحافظ على تماسك هذه الجماعة ووحدتها. ويؤكد الأديب حرص الجماعة على زواج الأبناء ببعضهم البعض ووعد الآباء بذلك منذ سن الطفولة كذريعة لرفض التزاوج بغير أبناء الطائفة و هو ما يعكسه الأديب :

"هى رفضت وأشارت صراحة أن ابنتها رينيه ستتزوج عندما يحين الوقت داخل العائلة من ابن خالها يوسف ناسى"(٤٢)

يؤكد الأديب أن هذه مبادئ أورثتها الأسر داخل هذه الجماعة عبر الأجيال جيلا بعد جيل ورسخت داخل جميع الأسر.

"علمت هذه التقاليد لجميع أفراد عائلتها وحاشيتها، وأولهم يوسف ابن أخيها، الذى قررت أن يكون زوج ابنتها، فقد قررت أن تسلمه أغلى ما تملك ؛ريينه الرقيقة الحسناء."(٤٣)

كان المتنصرون يحرصون على الزواج فيما بينهم من داخل الأسرة، حفاظا على سرية إبطانهم اليهودية فيما بينهم بعيدا عن المسيحيين، ولقد ظل المارانو طوال الوقت على اتصال مباشر بنظرائهم فى مختلف أرجاء العالم مثل إيطاليا ومناطق أخرى فى أوربا وأيضا فى الدولة العثمانية، وذلك من أجل التزود بزيجات للمتنصرين فى العالم المسيحى. (٤٤) ويؤكد الأديب على تمسك المتنصرين بتقاليد الزواج فيما بين أبناء الجماعة فقط.

"انتقل أبناؤه إلى بوردو، أمستردام وهامبورج، ويرسل الابن من هامبورج أولاده إلى كورساو ولفانزويلا، وهم يسيطرون على تصدير السكر والكاكاو، والتبغ من تلك البلدان إلى العالم القديم. وفى الوقت نفسه تتزوج ابنة واحد منهم من أحد أبناء عائلة كوريال – مصرفيون وتجار أثرياء من أبناء المتنصرين الذين سبقوهم بالوصول إلى كورساو وسورينام." (٤٥)

يوضح الأديب أن المارانو حرصوا على التزاوج فيما بينهم للحفاظ على هويتهم ، وظلوا يحافظون على هذا التقليد حتى عند خروجهم من شبه جزيرة إيبريا إلى العالم الجديد. و كان محرما على اليهود المتنصرين المقيمين فى أسبانيا والبرتغال تنفيذ وصايا الديانة اليهودية فيما يختص بطقوس عقود الزواج حيث كان يفرض عليهم إجراؤها فى الكنيسة. واتباعا لمبدأ التخفى كان المتنصرون يؤدون طقوس الزواج مرتين؛ مرة علنا فى الكنيسة ومرة أخرى سرا وفقا لطقوس الزواج بحسب الشريعة اليهودية.(٤٦)

يصور الأديب طقوس الزواج المتبعة لدى المارانو حيث ازدواجية الإجراءات المتبعة فى طقوس الزواج فيتم الاحتفال بالزواج فى الكنيسة وفق الديانة المسيحية بهدف إظهار أنهم مسيحيون طبيعيون وإخفاء هويتهم اليهودية، ثم إعادة الزواج مرة أخرى فى الخفاء سرا وفق الشريعة اليهودية.

"جرى حفل زفاف إميليو وابنة خالته سيسيليه بحضور غالبية الشعب فى الكنيسة وفق القانون والشرع. وجهزت وليمة فى الساحة، رغم الغيوم . رقص المهندس رامون واليجرا

طوال الليل كزوجين فى كل شىء. وخلال الرقص حكت اليجيرا لرامون أنه بعد جدال متواصل بين الجد والجدة، رضيت الجدة ووافقت على دعوته إلى حفلة الزفاف اليهودية التى تنظمها العائلة فى اليوم التالى سرا.

وفى اليوم التالى اجتمعت العائلة الموسعة فى منزل فيريرة. أم العريس وأم العروس قادتا الاثنين كل منهما للآخر. فتحت الجدة فيليسمينا الخزانة الخفية، وأخرجت منها لفافة الخيوط الكتانية المحفوظة بها بجانب الشموع الدهنية، رفعت غطاء الرأس عن رأسها وبعيون غائمة بالدموع ربطت يد العريس اليسرى بيد العروس اليمنى بخيط كتانى وربطته جيدا، وباركتهما باسم الله، إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب" صوت تهامس "آمين" ملأ البيت.

غادر الحضور البيت فى جماعات صغيرة. كان البيت يبدو من الخارج معتما وهادئا وبدا أن هؤلاء الناس هم خبراء فى التمويه." (٤٧)

يكشف هنا الأديب حقيقة مهمة ارتبطت بتقاليد وطقوس الزواج عند المارانو وهو اتباع التخفى والتنكر لخداع المجتمع المسيحى المحيط بهم من خلال إقامة عقد الزواج لدى كاهن فى الكنيسة لإخفاء حقيقتهم. كما يعكس أمرا مهما آخر وهو "أن القيادة الروحية فى يد النساء العجائز".(٤٨)

خامسا: السبت وطقوسه لدى المارانو

يعد السبت عيدا أسبوعيا عند اليهود وهو يوم مقدس يبدأ عند غروب شمس الجمعة إلى غروب شمس السبت، وأهم شعائر هذا اليوم عند اليهود الكف عن العمل فيحرم فيه القيام بأى عمل كما يحرم السفر فيه والبيع والشراء وخروج اليهودى فى هذا اليوم يكون فقط حاملا التوراة. (٤٩)

وقد سببت المحافظة على السبت إشكالية كبيرة لدى المارانوس فى أدائهم لتلك الشريعة المقدسة؛ حيث إن إشعال الشموع يوم السبت يعد خطيئة فى اليهودية لذا فقد اعتادت نساء المتنصرين إيقاد الشموع وإخفاءها تحت الموائد وتغطية النوافذ بستائر سوداء اللون حتى لا يراهم أحد. وكانت بعض الأسر تشعل الشموع طوال العام بما فيها أيام السبت والأعياد حتى لا يكشف أمرهم. (٥٠)

كما اعتاد المارانو على إعداد طعام السبت يوم الجمعة ويتم الاحتفاظ به طوال يوم السبت وعند حلول السبت يرتدى المتنصرون ملابس نظيفة ويفتحون حوانيتهم لكنهم يتهربون من البيع لأى شخص بذرائع مختلفة،لأن الشريعة تحرم البيع يوم السبت.([٥١])

ويصور الأديب مدى حرص المارانو على الاحتفال بيوم السبت وإيقاد الشموع وفقا لفرائض الشريعة وسرية هذا الأمر فيقول على لسان اليجيرا التى من المارانوس:

"أنت مدعو عندنا غدا لإيقاد شموع السبت، وتناول الطعام بالطبع، لكن ما تحدثنا فيه يبقى سرا بيننا.

حقا لم نكشف عن هذه الأمور للغرباء أبدا، كم رددت على مسامعنا ألا نحكى لأحد عن صلواتنا وتلاواتنا وطقوسنا السرية" ([٥٢])

يصف الأديب هنا على لسان المارانو أهمية إيقاد شموع السبت وسرية هذا الطقس وضرورة التشديد على عدم البوح به لأن يوم السبت أحد السمات المميزة لليهود ودليل على يهوديتهم. ويؤكد الأديب على ما يفعله المارانو يوم السبت من حرص على إقامة شعائر السبت من إيقاد للشموع وصلوات وأدعية فى نظام سري متفق عليه بعيدا عن أعين المجتمع المسيحى المحيط بهم

"العائلة التى اجتمعت فى بيت الجد استقبلته بفتور. دخل أفراد العائلة آحادا وأزواجا، يطرقون بالمطرقة التى على الباب مرتين ويدخلون كإشارة متفق عليها.

هل حضر الجميع؟ استعرض الحضور بعضهم البعض وأجابوا نعم بهزة رأس. وأشارت الأم لابنتها لتسدل الستائر. وبينما تقوم بذلك سمع طرق على الباب، كل الرؤوس التفتت بقلق. هم ما زالوا يخافون من جواسيس محاكم التفتيش.. دخل صبى فى العاشرة من عمره يلهث ويفاجأ بهذا الاستقبال الغاضب.

وبخته خالته "أمك قالت بأنها لن تأتى اليوم".

لكننى أردت الحضور"

لماذا لم تطرق الباب مرتين؟

نسيت لم أتذكر أن الآن وقت صلاة."

صححوا قوله: ليس صلاة إنما إيقاد الشموع.

دنت الجدة فيريرة من حزانة الحائط الذى يتخفى بابها خلف قطعة أثاث، فتحتها وأخرجت من داخلها شمعتين مغلفتين بالقصدير، حملت لفة خيوط كتانية وأخرجت منها فتيلتين ونظمتها داخل الشمعتين واستعرضت الأسرة لترى أن الجميع مستعد. أنهت اليجيرا الآن إسدال السائر. رفعت الجدة فيريرة غطاء رأسها من كتفيها وغطت به رأسها، وأشعلت الشموع وباركت: مبارك أنت يا إلهى – ويا سيدى– أرواح مباركة ومقدسة تشعل أمامك هذه الشموع المقدسة كى تنير، وتحتفل وتكرم هذا المساء المقدس ليوم الجمعة المقدس والسبت بزيت زيتون جديد. باركنى وبارك زوجى وجميع شعب إسرائيل. آمين." ([٥٣])

يجسد الأديب هنا مدى حرص المارانو على التجمع يوم السبت لأداء شعائر إشعال شموع السبت سرا و تلاوة الأدعية الخاصة بهذا اليوم، وكذلك أسلوب ممارسة هذه الشعائر حيث تقوم الجدة بقيادة العائلة فى ممارسة شعائر إيقاد الشموع وتلاوة الأدعية. والسرية المحيطة بتلك الشعائر لئلا يكشف سرهم.

سادسا: الأعياد اليهودية عند المارانو

كان للأعياد اليهودية وطريقة الاحتفال بها ليهود المارانوس طبيعة خاصة تختلف عن سائر الجاليات اليهودية فى العالم لما لهذه الطائفة من طبيعة خاصة. وكان أهم عيد لدى اليهود بصفة عامة هو عيد الفصح، أما لدى المارانو فقد اعتاد اليهود المتنصرون فى عيد الفصح شراء أوان جديدة ولم يكن هذا الأمر يثير الشك وذلك لأن الأوانى التى كانوا يستخدمونها كانت من الفخار التى يسهل تحطيمها عند افتضاح أمرهم. وقد اعتادت النساء أن يخبزن الفطائر فى الفصح بأنفسهن ويقرأن الترجمة اللاتينية للعهد القديم أو الخاصة بالجزء المتعلق بخروج بنى إسرائيل من مصر. ويرتدى الشخص الذى يدير الطقس ملابس بيضاء. ويستمر العيد من سبعة إلى ثمانية أيام. غير أن اكتشاف المسيحى لأى مظهر من

مظاهر عيد الفصح يقوم به اليهودى المارانو كان يعرضه لعقاب شديد لذا كان اهتمام اليهودى بأداء هذا الطقس بسرية شديدة وتكتم حتى لأقرب الناس إليه.(٥٤)

يصف أمنون شموش الطبيعة الخاصة التى اكتسبها عيد الفصح لدى المارانو والأسلوب الجديد والخاص للاحتفال بهذا العيد، حيث الاجتماع والاحتفال سرا بالعيد ونشأة تقاليد جديدة فى طريقة الاحتفال بالفصح غير مألوفة لدى اليهود:

"كان عيد الفصح الأجمل والأكثر خطورة وانفعالا فى الأعياد..عشرات الأسر المتنصرة فى بلومنته استعدوا فى الخفاء للعيد المقدس. أخرجت الملابس البيضاء والأوانى الخاصة من السمندرات للهواء الصافي للتهوية.

اجتمعت عائلة انطونيو فيريرة كلها فى بيته، الستائر والنوافذ مغلقة تماما، والانفعال كان يحوم فى الأجواء. أخرجت الجدة فيليسمينة مفرشا أبيضا مطرزا، وبسطته على المائدة المستديرة التى فى وسط الغرفة. وزعت بناتها أعشاب المر بين الحضور، ثم وضعت العجوز علبة خشبية وسط المائدة فتحتها فتكشف منديل أبيض يلف كرات عجينة صغيرة. ثم رفعت عشب المر الذى بيدها وباركت:" مبارك أنت يا الله، إلهنا ملك العالم، الذى قدسنا بفرائضه وأمرنا أن نأكل عشب المر.

أكلت عشب المر الذى بيدها وحملت العلبة بيمينها، وغطت عينها بيدها اليسرى وباركت: مبارك أنت يا الله ، إلهنا ملك العالم، الذى أمرنا أن نأكل الفطائر، تلك الفطائر التى أكلها أجدادنا عند خروجهم من مصر، وكما حظينا برؤية تلك الفطائر اليوم فاجعلنا نحظى بأن نخبزها غدا ونأكلها فى العيد المقدس. هذه السنة هنا، والسنة القادمة فى الأرض الموعودة. بعد ذلك نقلت العلبة لابنتها الكبرى التى كررت التلاوتين وأكلت من عشب المر. وهكذا انتقلت العلبة إلى جميع السيدات المتزوجات حسب الترتيب، وبعدهن فقط حان دور الرجال. لم يعرف الرجال التلاوتين شفاهة، فعاودت النساء وقالت التلاوات جملة جملة، وكرر الأزواج وراءهن. هنئوا عيد سعيد وقبلوا بعضهم البعض وتفرقوا كل إلى بيته.

الفطير يخبزونه غدا ، خوفا من الجواسيس المسيحيين.

كيف نشأت هذه العادات. متى وكيف انتقلت من عائلة لعائلة فى هذه الطائفة الفريدة فى نوعها، وكيف نشأت هذه التقاليد الغريبة، وكيف يحافظ عليها وتنتقل من جيل لجيل."([٥٥])

هكذا نجد أن طقوس الاحتفال بعيد الفصح لدى المارانو اكتسبت طابعا خاصا وفريدا ابتعد بهم عن تقاليد بقية اليهود ؛حيث اكتسبوا تقاليد جديدة خاصة بهم نتيجة محاولاتهم الدءوبة للتخفى عن أعين المسيحيين أثناء احتفالاتهم بالأعياد الدينية اليهودية وبخاصة عيد الفصح. فكانوا لا يحتفلون به فى نفس موعده المحدد لدى سائر اليهود بغية إبعاد الشكوك عنهم. كما خلت احتفالاتهم به من أنماط الاحتفالات اليهودية المألوفة للاحتفال بهذا العيد.

كما نجد أن النساء لعبن دورا حيويا فى تقاليد الاحتفال بالأعياد فقادت النساء الاحتفالات الدينية. وحفظن عن ظهر قلب الأدعية والتلاوات وما تبقى من سائر تراث اليهودية. وكان ذلك مهما بالنسبة لهم لخلو هذه الجماعة من الحاخامات ورجال الدين وكان من المهم أن تقوم النساء بهذا الدور زيادة فى التخفى وإبعاد الشك عنهم. فالنساء ظللن فى البيوت لا يخرجن للعالم الخارجى فلا ينكشف أمر الطائفة على عكس الرجال الذين تعاملوا مع العالم المسيحى المحيط بهم، فكان جهلهم بالدين اليهودى أفضل لهم حتى لا يهمسوا بما يكشف يهوديتهم.

أما بالنسبة لعيد البوريم ؛لم يعتبر المتنصرون عيد البوريم مناسبة سعيدة فى العالم الذى عاشوا فيه. إذ كانوا يصومون ثلاثة أيام مثل صوم استير ويستخدمون النسخة اللاتينية وسفر استير لتلاوته فى التاسع من آب، كما اعتاد المتنصرون إحياء ذكرى خراب الهيكل الأول والثانى ويمتنعون عن تناول اللحم والطيور ثلاثة أسابيع مثل الصوم.

أما عيد المظال فقد توقف المتنصرون عن الاحتفال به خوفا من أن يكشف المسيحيون هويتهم الحقيقية كيهود إذا ما أقاموا مظالا واستخدموا السعف حسب التقليد اليهودى.

كما لم يحرص المتنصرون على الاحتفال بعيد رأس السنة خوفا من افتضاح أمرهم، أما عيد الحانوكا فقد مارس اليهود المتنصرون الاحتفال بعيد الحانوكا بإشعال الشموع طيلة ثمانية أيام طبقا للتقليد اليهودى، ويحتفل اليهود فيه بذكرى انتصار المكابيين وتطهير الهيكل من رموز الديانات الأخرى غير اليهودية. ([٥٦])

أما يوم الغفران أو الكفارة وهو العاشر من تشرى (أكتوبر) وهو يوم صيام ليلا ونهارا ويوم حساب النفس على ما بدر منها من خطايا ، وقبيل هذا اليوم ذكرى دخول نبوخذ نصر أورشليم وتدميرها (٥٨٦ ق.ب) لذا فهو أكبر أيام الحداد عندهم. وفى هذا اليوم يعلن اليهود نقضهم للعهود والمواثيق التى قطعوها لغير اليهود.([٥٧])

ومن هذا المنطلق كان المتنصرون يصومون فى هذا العيد ويسمى عندهم يوم الصوم الكبير، حيث اعتادوا فى ليلته أن يطلبوا الغفران والسماح من أفراد العائلة والأصدقاء اليهود لغفران أى خطيئة حدثت خلال العام. وكانوا يعدون وجبة الصوم، أما أم الأسرة المتنصرة أو الجدة فكانت تقوم بالدعاء لهم ومباركتهم فيتم مباركة الأبناء بأن يكونوا مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أما الفتيات فتتم مباركتهن بأن يصبحن مثل سارة ورفقا وليئة. وقد اعتاد اليهود المتنصرون إقامة صلاة هذا العيد فى المعبد السرى حتى لا يتم الاشتباه فيهم ويقيمون شعائر الصوم والصلاة من أجل الغفران.([٥٨]) ويصور شموش حالة المتنصرين وقت الأعياد إذ تختلط مشاعر الفرحة بالخوف؛ فرحة الأعياد والخوف من أن ينكشف أمرهم وبخاصة الأعياد التى تستلزم طقوسا خاصة

"كان كل عيد يقترب يدخلها فى توتر إذ يخيل لها أن هذه المرة ستمسك بفاحشة. وتلك الفاحشة هى إخلاصها لشعبها ودينها وعائلتها. كانت الأعياد المقتصرة على الصوم أسهل نسبيا. ومن عيد البوريم فقد تعلموا وحفظوا فقط صوم استير. وقد احتفلوا بيوم الغفران ومارسوا شعائره فى اليوم التالى لليوم المقدس خوفا من أن يفضحوا.

عندما حل الشتاء واكتست التلال بالثلوج اللامعة متعة للناظرين توجه الرجال إلى مدينة ليجوادة القريبة أو إلى لشبونة البعيدة لشراء هدايا لعيد الميلاد، لعيد الميلاد الصغير –

أليس هو عيد الحانوكا– لقد اكتفوا بإشعال شموع السبت. أما مشاعل الحانوكا فيشكل الاحتفاظ بها خطرا." (٥٩)

وكشف الأديب هنا المخاطر المحيطة بالأعياد والتى تمثل عائقا أمامهم فى الاحتفال بالأعياد وفق التقليد اليهودى الخالص، لذلك فلم يتمكنوا من الاحتفال بإيقاد مشاعل الحانوكا وفق الشريعة، واحتفلوا فى عيد البوريم بصلاة استير ومارسوا شعائر عيد الغفران فى اليوم التالى لموعده لكى لا يفتضح أمرهم.

سابعا: الموقف المسيحى من يهود المارانوس

أ ـ موقف رجال الكنيسة والبابا من المارانوس

أسس البابا فى أواخر القرن الخامس عشر ١٤٧١ محاكم التفتيش بناء على طلب الملك فرديناند والملكة إيزابيلا. للتأكد من إيمان المواطنين اليهود الذين اعتنقوا عقيدة الدولة،أى المسيحية الكاثوليكية، والتحقق من صدق ولائهم للدولة وحماية المتنصرين من تأثيرات إخوانهم السابقين فى الدين، ثم وضعت محاكم التفتيش هؤلاء المتنصرين تحت الرقابة الشديدة للتأكد من صدق إيمانهم وولائهم للدولة، وكانوا يمارسون شعائر دينهم الأصلى فى السر. وقد ارتكبت تلك المحاكم كثيرا من الفظائع.(٦٠)

كان مفتشو تلك المحاكم يعاقبون كل متنصر يشتبه فى أنه حاد عن الطريق الصواب بسلوك أو نظم حياتية لاتتسق مع المسيحية، ويعذبون المشتبه فيهم ويرهبونهم حتى لا يعودون إلى عقيدتهم اليهودية الأصلية.(٦١)

يصف الأديب موقف رجال الدين المسيحى العدائى من المتنصرين، فيصور موقف الكاهن المسيحى المتشدد والعدائى من المارانو؛ فالكاهن عندما شاهد لويزا المتنصرة تلفظ من فمها الخبز المقدس التى أخذته منه فى الكنيسة يوم الأحد وكشف أمرها فثار وطالب بموتها.

"ذات يوم رأى الكاهن بطرف عينه لويزا تقرب منديلا من فمها وتلفظ فيه الخبز المقدس. ثار غضبه على هذه المتنصرة الوقحة. وفى نفس الأسبوع تم إحراق الخالة لويزا .

وقد نجا أولادها وبناتها عندما تنكر أبوهم لزوجته وأعمالها الإلحادية، وقدم تبرعا لائقا إلى صندوق محكمة التفتيش المقدسة كى تستطيع ملاحقة الكافرين وتطهير جماعة النصارى الجدد." (٦٢)

يكشف هنا الأديب عن موقف الكاهن المسيحى الصارم والعدائى تجاه المارانو حيث لا يرضيه إلا أن يكون الموت هو مصير كل متنصر يكتشف بأنه ما زال على ولائه لليهودية أو ازدراءه للمسيحية وشعائرها. ويؤكد الأديب على ذلك الموقف العدائى الصارم من قبل رجال الدين المسيحى وبخاصة البابا تجاه كل يهودى من المارانو يكتشف أمره

" وقع البلاء عندما انتشرت الأنباء المريرة عن التنكيل بالمتنصرين فى مدينة انكونا. قرر البابا الذى سيطر على المدينة فى حوالى عام ١٥٥٥، أن يطهر دولته من وباء المتنصرين. ولم تفد تدخلات تجار المدينة الذين عرضوا عليه وثائق الحماية التى منحت للمتنصرين، لم يفد إلحاحهم عليه بألا يخاطر بمستقبل المدينة.

كانت كراهية البابا للمتنصرين عظيمة جدا. وصل الناجى الوحيد من متنصرى انكونا يهودا بيرح إلى قصر السنيورة وصرخ طالبا النجدة والانتقام.

خمسة وعشرون من إخوانى أصعدوا للمحرقة فى ساحة المدينة لأنهم لم يوافقوا على الإعراب عن ندمهم والعودة بقلب خالص إلى أحضان الكنيسة. لقد اعترفوا بأنهم منذ قدومهم إلى انكونا عادوا إلى اليهودية. ولم يفد ادعاؤهم، بأن سلطات المدينة سمحت لهم بذلك، حتى عندما ثبتت أقوالهم بالشهادات الرسمية وفق القانون. لقد قادوهم بوحشية إلى الساحة وأصعدوهم على المحرقة وهم يصرخون "اسمع يا إسرائيل، ويا إله الانتقام إلهنا اظهر لنا".. واصل الرجل الناجى:" ثمانية وثلاثون شخصا انهاروا وأعربوا عن ندمهم وأقسموا أن يعودوا إلى أحضان الكنيسة بإخلاص. وقد حكم عليهم جميعا بالعمل المؤبد على سفن النقل التابعة للدولة."(٦٣)

يصور هنا الأديب موقف البابا ورجال الكنيسة العدائى من المتنصرين، فتعاملوا معهم بقسوة. ولم يتهاون رجال الكنيسة مطلقا مع أى شخص من المارانو يفكر فى العودة

لليهودية أو عدم الإخلاص للمسيحية. ولم يغفروا لأى شخص يبطن اليهودية ويكشف أمره فيكون مصيره الموت فورا .

لا شك أن موقف رجال الدين المسيحى ،البابا والقساوسة، العدائى من اليهود المتنصرين هو ناتج عن الموقف العام من رجال الدين المسيحى تجاه اليهود فحسب الاعتقاد المسيحى فاليهود هم قتلة المسيح وأعداء المسيحية والمسيحيين([٦٤]).

ب ـ موقف الحكام المسيحيين من المارانوس

كان موقف الحكام والملوك الكاثوليك تجاه اليهود المتنصرين متسامحا بغرض الاستفادة منهم فى الأعمال المهنية التجارية والمصرفية التى اضطلعوا بها. وقد سار على هذا النهج الملك فرديناند الخامس الكاثوليكى ملك آرجوان الذى أحاط نفسه باليهود المتنصرين حيث مكنهم من شغل مناصب حساسة فى بلاطه ،فكان عدد منهم أعضاء فى المجلس الملكى وكان سكرتيره وقائد أسطوله البحرى من هؤلاء اليهود المتنصرين. ومن جانب آخر كانت زوجته محاطة بكثير من هؤلاء المارانوس حيث كان سكرتيرها ومستشاروها منهم. كما كان القس الذى تعترف أمامه من أصل يهودى.

وقد استعان كل من فرديناند وايزبيلا بالمارانوس اليهود فى تمويل حروب الملكية الكاثوليكية ضد المسلمين حيث نجحوا فى طرد المسلمين من أسبانيا ١٤٩٢. وقد حاول الملكان دمج اليهود المتنصرين الذين كان يشتبه فى حقيقة تنصرهم، إلا أنه بعد طرد المسلمين قررت ايزابيلا إنشاء محاكم التفتيش والتخلص من اليهود أيضا. وقد طالبت الملكة إيزابيلا تشكيل محكمة خاصة لمحاكمة اليهود الذين تنصروا بينما كانوا يمارسون شعائرهم اليهودية سرا. ([٦٥]) و يوضح الأديب نهج الحكام والملوك تجاه المتنصرين المارانو وموقفهم الحقيقى من تلك الجماعة.

"أحد الوجهاء قام من مكانه طالبا الأذن بالكلام، انتظر هزة رأس مصحوبة بغمزه بسيطة من الدوجة، وحينئذ بدأ قائلا: أى فائدة سنجنيها من هاتين الضيفتين ومن سلوكهما الملتوى؟ ومن سمح بقدومهما إلينا؟

أحد أعضاء مجلس العشرة ، على يمين الدوجة وقف ليرد: "الشقيقتان مندس من آل نسى، حصلتاعلى موافقة دخول ووعد بحمايتهما وحاشيتهما، والتى لا يزيد عددها عن ثلاثين شخصا، من مجلس العشرة فى يوم ٢٢ مارس ١٥٤٤ قبل عامين تقريبا. كشفت التحريات التى قمنا بها أن هذه العائلة تحافظ على نهج مسيحى كامل. فكرنا مليا ووجدنا أن ثراء العائلة الفاحش وعلاقاتها الدولية ستعود علي بلادنا بمنفعة اقتصادية وسياسية جمة.

سأل الدوجة: هل لدى رئيس الشرطة السرية ما يقوله لنا بهذا الأمر؟

نعم عظمتكم. من يوم أن وصلت هذه العائلة فى السفينة من ميسترى ونحن نتعقبهم. لم تطأ أقدامهم الجيتو اليهودى، ولم يدخل أى شخص من أفراد الجيتو قصرهم. أما إذا كانوا يحافظون على التقاليد اليهودية ، فإنهم حقا يفعلون ذلك فى سرية تامة."([٦٦])

يجسد هنا الأديب الموقف الحقيقى من قبل الحكام والسلطات من المارانوس والذى يتمثل فى الرؤية النفعية التى ينظر من خلالها الحكام والسلطات للمارانو؛ فيرون ضرورة الاستفادة منهم قدر الإمكان ومن ثرواتهم وخبراتهم الاقتصادية ونفوذهم وعلاقاتهم وهو ما يهم السلطات فى المقام الأول، وتأتى الديانة والإخلاص للمسيحية لدى المارانو فى مرتبة ثانية من اهتمام السلطات، بل إنهم يراقبون المارانو ليتأكدوا من ولائهم لليهودية سرا ليستخدموا ذلك فى الوقت المناسب ضد المارانوا وهو ما يؤكد عليه الأديب:

" اشتاط القيصر كارلوس وأخته الملكة والذى توج على البلاد المنخفضة غضبا. فى البداية غضبا على الدونة جراتسيا التى عبثت بهما وهربت من تحت أنفيهما بجميع أموالها الطائلة جدا، والتى يحتاجانها مثل حاجتهما لهواء التنفس، وبعد شىء من التفكير غضبا على نفسيهما وعلى حماقتهما إذ أن ملاحقاتهما واضطهادهما لعائلة مندس وجشعهما ومطامعهما وقلة ذات يدهما هى التى هربت هذه الدجاجة التى تضع البيض الذهبى.

ندم القيصر وأخته الملكة على ما فعلا، بالإضافة إلى ما كانا يدبران فعله وعلمت به الدونه على ما يبدو. فقد اعتقلا صهر دونة جراتسيا دييجو مندس، الذى شملت تجارته الدنيا بأسرها، بتهمة أنه يساعد المتنصرين على العودة لليهودية وأن له علاقات خفية مع

يهود تركيا، وأنه هو نفسه يهودى متخف ويكفر بالنصرانية. لقد أملا أن تمكنهما هذه التهمة الأخيرة من جميع ممتلكاته وأمواله التى ستصادر." (٦٧)

يصف الأديب هنا الموقف الحقيقى للسلطات والملوك من المارانو حيث النظرة النفعية واعتبار بعض المارانو دجاجة تبيض ذهبا، فحرصوا على الاستفادة من ممتلكاتهم وأموالهم واستخدامها كورقة يستفاد منها وقت الحاجة. و الحقيقة أن حاجة الملوك الكاثوليك للمتنصرين كانت كبيرة للدرجة التى جعلتهم يتسامحون مع اليهود الذين يطعنون فى الديانة، وتغاضى الملوك عن الأحكام التى صدرت ضدهم. ووجد ملوك أسبانيا ونبلاؤها فى القرن الخامس عشر فى اليهود الذين اعتنقوا المسيحية الطبقة المميزة والضرورية لرفاهية البلاد وأنهم لا يشكلون خطرا على عقائدهم. ومن هنا يثبت التباين الظاهر بين السياسة الملكية ومصلحتها التى كانت فى المقام الأول وبين الشعب والكنيسة على جانب آخر. (٦٨) و يوضح الأديب مدى حرص الحكام والملوك على الانتفاع بثروات المارانوس وهو جل اهتمامهم.

" انتشرت الشائعتان فى المدينة، وأثارت موجات من الغيرة والحسد، الغيرة من الدونة الغنية التى يتهافت الملوك على بابها يلتمسون القروض." (٦٩)

ويؤكد الأديب مدى حرص الملوك والحكام على الحصول أموال المتنصرين وغض الطرف عن معتقداتهم

" استقبلت فينسيا الدونة جراتسيا وعائلتها المبجلة بترحاب. كان ذلك حبا متبادلا من النظرة الأولى. فقد أسر ثراء وحكمه السيدة وعلاقاتها الدولية قلوب حكام المدينة".(٧٠)

وعلى ذلك نجد أن موقف الحكام من اليهود المتنصرين هو موقف نفعى فيكون متسامحا جدا فى حالة الاستفادة من نفوذهم أو من أموالهم، ولكن يتحول هذا التسامح إلى النقيض حيث يتم توجيه التهم للمتنصرين بالردة عن المسيحية والتمسك باليهودية للاستيلاء جبرا على ممتلكاتهم. فموقف الحكام موقف نفعى تماما وله طبيعة خاصة وليس موقفا دينيا ناتجا عن الغيرة على المسيحية ، بل هو موقف سياسى فى المقام الأول تحكمه المنفعة فقط.

ج ـ الموقف الشعبى المسيحى من المارانوس

اعتقد اليهود أن المسيحيين سوف يتقبلون تنصرهم الظاهرى بترحاب، لكن الأمر لم يكن كذلك. فعلى المستوى الشعبى شعر الجمهور المسيحى فى أسبانيا والبرتغال تجاه المتنصرين بالكراهية، حيث رأى المسيحيون الأصليون أن المتنصرين منافسون لهم فى المناصب السلطوية والمناصب الرفيعة والمهمة، كما رفض الشعب المسيحى تقبل ظاهرة المتنصرين الجدد واتهموهم بعدم الولاء للحكام المسيحيين والمسيحية الأصلية.(٧١) و يجسد الأديب موقف المسيحيين المخلصين من المارانو المتظاهرين بالمسيحية ويبطنون اليهودية

" غيرة المسيحيين المخلصين من هؤلاء المسيحيين الجدد الذين هم بمثابة شوكة فى عيونهم، فهم يتظاهرون بالمسيحية، بينما يخفون فى قلوبهم عقيدة أجدادهم، ويساعدون إخوانهم الذين يشغلون أماكننا، وينافسوننا ويتعالون علينا، وفى خفايا نفوسهم ما هم إلا يهود ملاعين، عرفت أسبانيا والبرتغال كيف تلفظهم، ويتوجب علينا أن نستوعبهم وجموعهم فقط لمجرد تهافت حكامنا على أموالهم." (٧٢)

يستعرض هنا الأديب موقف الجمهور المسيحى العادى من المتنصرين حيث الرفض والغيرة والكراهية. ولخص الأديب أسباب تلك المشاعر فى :

– تظاهر المارانو بالمسيحية بينما الإخلاص الحقيقى كان لليهودية دينهم الأصلى الذى تمسكوا به سرا

– تقديم المارانو لليهود كل أشكال العون والمساعدة

. منافسة المارانو للمسيحيين المخلصين فى مجالات العمل والمناصب المهمة والرفيعة.

. التعالى على المسيحيين.

. محاباة الحكام بالمارانو على حساب المسيحيين الحقيقيين طمعا فى أموالهم ونفوذهم.

ترتب على ذلك غيرة المسيحيين من المارانو وكراهيتهم ورفضهم. لذلك عمل الجمهور المسيحى على عزل المتنصرين اليهود والهبوط بكرامتهم ومنع الامتيازات التى ترفعهم عليهم وأطلقوا عليهم لفظ المارانوس أى الخنزير. (٧٣)

يصور الأديب هذا الرفض والتفرقة فى المعاملة وفرض قيود مختلفة عليهم حتى فى أبسط الأمور

" كنصارى جدد انتقلوا إلى بايون، وهناك اتضح لهم أن النصارى الجدد يضطهدزن ويجبرون كل مساء على الانزواء فى حى سانت اسبرى" (٧٤)

لا يكتفى المسيحيون بفرض قيود فى التعامل مع النصارى الجدد المارانو، بل إنهم يقاطعون من يكتشفون أن أجداده يهود أو من يشكون فى أنه يهودى متخف وهو ما يصوره الأديب ؛حيث يحذر المسيحيون بعضهم بعضا من اليهود المتخفين ويقاطعونهم.

" قالوا له :حانوت البقالة هذا الذى رأيناك تتردد عليه، حقا إنه قريب من مسكنك، ولكنه ليس مفضلا فأصحابه يهود. ظهرت الدهشة وبدت على وجهه. تعجب وقال: يهود؟؟ قالوا له يهود، كما تسمع، يهود فى الخفاء منذ أجيال طويلة.

وهذا الجزار الذى عند قمة الشارع يا سيدى المهندس هو يهودى متخف، ومن المفضل ألا تتردد على حانوته"(٧٥)

يتضح هنا موقف الجمهور المسيحى من المارانو فهم يقاطعون من يشكون فى أصله اليهودى ومن يشكون فى أنه ما زال يهوديا فى الخفاء وليس مسيحيا مخلصا. ويبدو أن هذا الأمر هو مريح أيضا لكلا الطرفين للمسيحيين الأصليين وللمارانو، اليهود المتخفين ، فهذا يجنب المارانو الوقوع فى مشاكل كبيرة منها الزواج فيقول الأديب على لسان أحد أبطاله المارنوس:

"هم يعرفون أننا من أصل يهودى وهذا يكفيهم لإبعادنا عن طائفتهم. ولكن هذا مريح لنا، لأننا أيضا نحافظ على عدم الزواج منهم والاندماج معهم." (٧٦)

وكان نصيب المارانو الابتعاد عن المسيحيين الأصليين وهو أمر مريح للمارانو أنفسهم لكى لا يفتضح أمرهم ويدخلون فى مشاكل بسبب يهوديتهم.

ثامنا : علاقة اليهود بالمارانوس

أ ـ موقف اليهود من المارانوس

يطلق اليهود على جماعة المارانوس لفظ "**אנוסים**"،وهى كلمة عبرية معناها المضطرون أو المكرهون أو المغلوبون على أمرهم. وواضح من مجرد التسمية أنهم كانوا موضع عطف من سائر اليهود لأنهم على الأقل بهذه التسمية قد التمسوا لهم العذر. واختلفت نظرة فقهاء اليهود إلى المارانوس ؛ ففقهاء العصور الوسطى اعتبروهم مكرهين على أمرهم وليس عليهم ذنب ويعتبرون من بنى إسرائيل فى كل الحقوق والواجبات. ([٧٧])

ويصور الأديب العلاقات بين الطرفين حيث يعرض مدى إسهام اليهود للمارانو ومساعدتهم لهم، حيث تلجأ الدونة جراتسيا المتنصرة إلى اليهود لمساعدتها لتخليص أختها الصغيرة من أيدى المسيحيين سرا وتعتبر هذه مهمة مقدسة وأداء لواجب وفريضة مقدسة لن يعترض عليها اليهود

" محظور أن يعرف أحد الخطة ما عدانا نحن الثلاثة. وأنا استطيع الاستعانة بعلاقاتى مع أهل الجيتو، دون أن يعرفوا فى أى شيء هم يساعدوننا.

ابتسمت دونة جراتسيا: حتى لو عرفوا فهم يساعدون فى أداء فريضة تخليص طفلة سباها الأغيار." ([٧٨])

صور كذلك الأديب موقفا يمد فيه اليهود يد العون والمساعدة للمتنصرين الذين تعرضوا للسرقة والمأزق فساعدوهم قدر المستطاع ولم يتخلوا عنهم.

" غادر الأخ الصغير برناردو غرناطة إلى مالقة، ومن هناك أبحر مع زوجته الجديدة إلى شواطىء المغرب. وكان الطريق كما يبدو قصيرا وآمنا، ولكن انتظر السفينة الصغيرة على الشاطئ لصوص، والذين تركوا المهاجرين بملابسهم الداخلية. ووصلوا بعد بضعة أيام من السير على الأقدام منهكين جائعين، إلى أول جالية يهودية، والتى أطعمتهم فى سقمهم."([٧٩])

يؤكد الأديب العلاقات الوطيدة بين اليهود والمارانو وتقديم اليهود للمارانو المعونة والمساعدة فى كل وقت حيث ساعد اليهودى نسيم فريرة الدونة جراتسيا المتنصرة للخروج إلى تركيا وتوفير الحماية لها ومساعدتها على العودة إلى اليهودية علانية

"أنا الذى من أمة اليهود ودين اليهود، أستطيع أن أعدك بأنك إذا رغبت العودة إلى شعبك ودينك كما يفعل الكثيرون ممن يصلون إلينا فستمنح لك حماية جلالة السلطان وبركته." (٨٠)

وتأتى مساعدة اليهود للمارانو ومد يد العون لهم نتيجة أنهم يعتبرونهم يهودا خالصين مؤمنين لا يشوب إيمانهم باليهودية شائبة، ولايشكون فى إيمانهم وذلك طبقا لما ورد فى تشريع موسى بن ميمون :"لابد وأن يلتزم كل بيت فى إسرائيل بعبادة الرب والأفضل لليهودى أن يموت عن أن يخرج من الشريعة، أما فى حالة الإجبار والقسر على غير ذلك فيعفى اليهودى من العقاب. وقد جاء تشريع موسى بن ميمون فى هذا الشأن إذا أجبر اليهودى على إلغاء تشريعه رغما عنه قسرا وإجبارا فهو معفى من العقاب. كما رأى بعض رجال الدين اليهود أن المتنصرين الذين لم يستطيعوا الرجوع إلى فلسطين وظلوا فى أماكنهم ومارسوا شعائرهم اليهودية سرا فيكون الحكم عليهم أنهم مثل اليهود الكاملين وشهادتهم موثوق بها فى المحاكم. ويرى بعض المشرعين أيضا أن المتنصرين مجبرون لا يعتبرون مرتدين بل يهود . (٨١)

ب ـ موقف المارانو من اليهود

لعب المتنصرون دورا مهما من أجل بقية الشعب اليهودى وكانت استير نموذجا يحتذى به فى فكرهم فرأوا فى تنصرهم الظاهر وإخفاء هويتهم اليهودية أمرا فى صالح اليهود عامة.(٨٢) ويوضح الأديب الأساليب المختلفة التى اتبعها المارانو لمساعدة اليهود. فيقدم أثرياء المارانو معونات مالية كبيرة لفقراء اليهود

"فى نفس الوقت الذى انعقدت فيه الجلسة فى قصر دوكالة، عقدت جلسة سرية فى جزيرة جيوديكا بين مندوبين عن الجيتو وبين الدون يوسف. لقد حدد مع الاثنين ترتيبات

بموجبها يحصل هؤلاء على منحة شهرية من أجل فقراء الجيتو كهبة خفية، كما أوصى المرحوم دييجو فى وصيته: فى كل مكان تعيشون فيه، وزعوا من أموالى على المحتاجين، سواء كانوا يهودا أو متنصرين أو مسيحيين جدد، لأن فى النهاية سيعود هؤلاء إلى أصلهم، ولا تنسوا مطلقا إعطاء الصدقة لفقراء شعبنا فى أسبانيا والبرتغال، ابحثوا عن وسائل للوصول إليهم." (٨٣)

يجسد الأديب هنا عطاء المارانو السخى لليهود حيث خصص الثرى دييجو منحة شهرية لفقراء اليهود وقبول اليهود هذه المنح والصدقات بترحاب. ويؤكد الأديب على مدى اهتمام المارانو بأحوال اليهود وتقديم كل المساعدات الممكنة لهم فى السر والعلن وذلك من خلال الثرية الدونة جراتسيا التى تقدم هى وزوجها كل ما تستطيع لليهود .

" استغلت حفلة الزفاف كفرصة مناسبة لمنح الصدقات للفقراء اليهود فى المدينة والمملكة كلها. كانت هذه ذروة مشروع الصدقة، التى بادرت به الدونة جراتسيا منذ أن قدمت إلى بلاد الحرية، حيث إن مساعدة اليهود والتصدق عليهم لا يعتبر جريمة ومخالفة للقانون. لقد استفادت المستشفيات والمعابد ودور الأيتام والفقراء والمؤسسات اليهودية الأخرى من عطاء السنيورة السخى، ناهيك عن فداء الأسرى، الذى انشغل به جميع وكلائها المنتشرين فى العالم، وعن تزويج العرائس والهبات فى الخفاء ودعم الحاخامات وطلاب العلوم الدينية الذين طمحوا إلى طباعة مؤلفاتهم. أقامت فى القسطنطينية مدرسة دينية فخمة، وبجوارها أقيم معبد سمى معبد السنيورة. وفى سالونيكى أقامت السنيورة " المدرسة الدينية اليهودية للجالية الأسبانية". لقبها أحد حاخامى العصر "قلب شعبها" ، وأضاف مفسرا :" إنها العضو الذى يحس بأوجاع بقية الأعضاء." (٨٤)

عكس هنا الأديب العلاقات الحميمة التى ربطت بين الطرفين حيث شعر المارانو أنهم جزء لا يتجزأ من اليهود، فقدموا لهم كل عون ومساعدة من صدقات للفقراء وهبات للمؤسسات الدينية والاجتماعية كالمعابد والمستشفيات وافتداء الأسرى اليهود ودعم طلاب العلم ورجال الدين اليهودى.

أما نظرة اليهود وبخاصة رجال الدين كما صورها الأديب فتتسم بالتسامح والود، بل رأوا أن المارانو، هم جزء أصيل من اليهود ولا يختلفون عنهم.

من الجدير بالذكر أن الأديب يعتمد فى هذه الرؤية التى صاغها على لسان اليهود وخاصة رجال الدين تجاه المارانو على فتاوى بعض حاخامات اليهودية كموسى بن ميمون وأصحاب الرأى الذى يرى أن المارانو مكرهون لذلك فهم يهود . و يؤيد الأديب هذا الرأى ويعرضه ويقدم علاقات حميمة بين المارانو واليهود ومباركة رجال الدين اليهودى لهم. ويتناسى الأديب أمرا مهما وهو وجود فريق آخر من الحاخامات اليهود يرى أن المارانوس يهود مرتدون وغرباء عن اليهودية واعتبروهم طائفة ملحدة، بل لقد ألزم حاخامات صفد وعلى رأسهم الرابى يعقوب بير آب عقاب المتنصرين التائبين بالجلد على عدم تنفيذ الوصايا، أما المتنصر الذى هرب من أرض مولده ولم يختن فكانوا يمنعونه من استخدام أدوات المعبد حتى يتم ختانه. (٨٥) و كثير من الحاخامات كانوا لا يعتبرون المارانو يهودا ورفضتهم المؤسسة الدينية اليهودية وعاملتهم باعتبارهم متهودين أو غرباء اعتنقوا اليهودية، أى أنها كانت تراهم مسيحيين تهودوا. وهناك رأى أن الحاخامية كانت سعيدة بملاحقة محاكم التفتيش لهم لأنهم تركوا دينهم عن عمد. وكان اليهود يحتقرون المسيحيين الجدد المارانو الذين كانوا بدورهم لا يكنون أى احترام لليهود. (٨٦)

لكن الأديب تجاهل هذه الآراء المهمة من قبل رجال دين وحرص على تقديم علاقات طيبة ووطيدة تجمع بين الطرفين ونظرة المودة التى تجمع بين الطرفين متبنيا اتجاه واحد فقط من آراء رجال الدين وهو الاتجاه المتعاطف معهم وتجاهل الاتجاه الآخر القوى الرافض لهم والمعادى والذى يعتبرهم غير يهود.

تاسعا : المارانو والعودة إلى أحضان اليهودية

انتشر المارانوس فى معظم أنحاء العالم بعد طردهم من أسبانيا حيث ذهبوا بأعداد كبيرة إلى سالونيك فى تركيا ومثلوا أعدادا كبيرة تفوق كل اليهود المتواجدين فيها. ومن ناحية أخرى ذهبت أعداد منهم إلى انجلترا وأمستردام وهامبورج وهولندا وعاشوا فى هذه البلاد

كجماعة هامشية تجمع بين المسيحية واليهودية، ترتبط بالمسيحية بالاسم فقط بينما تمارس اليهودية سرا على الرغم من تغير الأوضاع والسماح بحرية العبادة عام ١٩١٠.([٨٧])

ومن أشهر المدن التى سكنها المتنصرون اليوم مدينة بورتو ومدينة بلومنت فى البرتغال وانتشر أبناؤهم فى العالم فيوجد أعداد منهم فى أسبانيا وفى البرتغال وأعداد فى البرازيل والمكسيك وكولومبيا وانجلترا وهولندا وغيرها من الأماكن التى تمكنوا من الهرب إليها أثناء الملاحقة. ([٨٨])

وكان المارانو يظلون مسيحيين اسما ويمارسون عقيدتهم اليهودية سرا دون اعتراف رسمى، وعلى الرغم من إظهار المارانو للمسيحية فى العلن وإبطانهم اليهودية فقد كانوا على يقين أنه سيأتى يوم من الأيام وتتغير الأحوال وسيعودون فيه إلى اليهودية علانية بدلا من الازدواجية التى يعانون منها، والتشتت بين عالمين عالم المسيحية المعلن وعالم اليهودية الباطن ، الذى أدى إلى تشوه العقيدة وعدم اكتمالها، فكان التطلع للعودة إلى اليهودية الخالصة والإيمان بأنه سيأتى يوم يعودون فيه لليهودية علانية وهو ما يعبر عنه الأديب على لسان أحد أبطاله

"إنك لا تدرك يا صديقى الشاب أننى متأكد أنه سيأتى يوم وهو ليس بعيد، ونعود لنكون يهودا كاملين، لكن يبدو أن جيلى غير مستعد بعد لذلك. فزوجتى ،على سبيل المثال، لا يستطيع أحد أن يقنعها. أننى متأكد من قدوم ذلك اليوم. وستكون هنا جالية يهودية ستجدد المعبد الذى كان هنا فى القرن الثالث عشر." ([٨٩])

يوضح الأديب هنا إيمان المارانو بأنه سيأتى يوم يعودون فيه إلى اليهودية وسيعيش الجيل الصاعد هذه الحقيقة. و ظهر فى القرن العشرين من بين المارانو من نادى بعودة المتنصرين إلى اليهودية. وكان أهمهم بروش بسطو وهو من أبرز الشخصيات المتنصرة التى ظهرت فى القرن العشرين ونادت بعودة المتنصرين إلى اليهودية ودافعت عن حقوق اليهود فى أداء شعائرهم دون جبر. ويعد بروش باسطو رائد تهويد المارانوس فى القرن العشرين، وكان ضابطا فى جيش البرتغال أثناء الحرب العالمية الثانية، ولد لأسرة كاثوليكية عاش فترة من

حياته ولا يعلم أنه يهودى، طبقا لعادات المتنصرين فى إخفاء أصولهم اليهودية عن أبنائهم حتى سن البلوغ. وعندما كبر باسطو كشف له جده أصله اليهودى، ومنذ ذلك الحين بدأ يبحث عن جذوره اليهودية وبعد تهوده غير اسمه إلى أفرهام بن هاروش. واتصل بإخوانه المتنصرين الذين انتشروا فى مدن بورنو وبلومنت ودعا المتنصرين للعودة إلى اليهودية. ومن أهم أعماله فى هذا المجال أقام معبدا يهوديا وأسس جريدة باسم "لابيد". وقامت بعض العائلات اليهودية بدعم باسطو ماليا. وعندما ذاع صيته وزاد نشاطه قامت الكنيسة باتهامه بالشذوذ الجنسى وتم عزله من الجيش وتوقف نشاطه خوفا من تهديدات الجيش والكنيسة.(٩٠) و عكس الأديب شموش هذا النشاط ومحاولات بروش باسطو رد المتنصرين إلى اليهودية فيقول على لسان أحد المارانو

" قال انطونيو لقد حدث مثل هذا فى السابق، لقد حاول ردنا إلى اليهودية الكاملة الخالصة – لكن التقاليد الصارمة التى تبلورت على مدى الأجيال، لم تستوعب ذلك"

حاولوا؟ من؟ متى؟

كان هناك كولونيل من مدينة بورتو – اسمه بروش باسطو – والذى اكتشف أن أصله يهودي. قام وبدأ يبحث عن المتنصرين ويردهم إلى شعبهم ودينهم. تعلم اليهودية وبنى معبدا وجند الطلاب ونشر مجلة أسماها "لابيد" وماذا لم يفعل؟ وعندما وصل إلينا – أعتقل. لقد عشنا بالهوية المزدوجة والنظام الثنائى للأعياد والطقوس والعقائد وليس من السهل التخلص منها."(٩١)

جسد الأديب هنا محاولات رد المتنصرين إلى اليهودية فى العصر الحديث والتى نبعت من داخل المارانوس أنفسهم وتطلعاتهم لحياة أكثر أمنا يمارسون فيها عقيدتهم اليهودية علانية دون خوف رغم تخبط الكثيرين منهم عقب حياة مزدوجة لفترة طويلة متخبطة. ويؤكد شموش على لسان أبطاله محاولات كثير من المارانو الهرب بعيدا عن المدن التى عاشوا بها كنصارى إلى مدن جديدة لا يعرفهم فيها أحد ليمارسوا فيها اليهودية علانية بعد أن يعودوا إلى اليهودية. وهو ما يفعله خوان شقيق نسيم الذى يسافر إلى فرنسا ليعود هناك لليهودية

" هكذا كان خوان شقيق نسيم الأندلسى اعتنق المسيحية سويا مع زوجته وولديه، ولكنه قرر أن يخرج للبحث عن مكان يستطيع أن يعود فيه إلى الديانة اليهودية"(٩٢)

وظلت فكرة الهروب من البلدان التى تسيطر عليها أسبانيا والبرتغال التى أعملت محاكم التفتيش فكرة تراود الكثير من المارانوس حتى يتم العودة إلى اليهودية فى أمان ودون خوف وهو ما يصوره الأديب

"على ذلك فقد توسلت لخالتى التى مزاجها يوافق مزاجى بأن تسرع فى مغادرة بلاد محاكم التفتيش إلى مكان نستطيع فيه العودة علانية إلى اليهودية والعيش حياة متكاملة وهادئة؛ متكاملة مع إلهنا، وهادئة مع أنفسنا"(٩٣)

لقد تطلع البعض للعودة إلى اليهودية عن طريق الهروب إلى مدينة آمنة غير متعصبة ضد اليهود ، يستطيع اليهود فيها ممارسة شعائر اليهودية بحرية وهو ما يصفه الأديب؛ حيث نجد أن تركيا هى الدولة التى قامت باستيعاب اليهود. وكانت متسامحة معهم

"أمى تنوى فى نهاية المطاف الوصول إلى القسطنطينية القريبة من القدس. وهناك نستطيع، وهنا خفضت صوتها وتكلمت همسا، أن نعود إلى الديانة اليهودية دون مضايقات"(٩٤)

وصف الأديب مدى تلهف المارانو للعودة إلى اليهودية دين الأجداد حيث إنهم يهربون من المدن التى تخضع لسيطرة أسبانيا والبرتغال . وإذا ما وصلوا إلى بلاد أحسوا فيها بالأمان ولم يتعرضوا للعقاب فإنهم لا يترددون فى العودة إلى اليهودية. فيصور الأديب أحساس المارانو بالأمان وعدم الخوف فى تركيا الدولة المسلمة التى تتسم بالتسامح الدينى فأعلنوا صراحة عن هويتهم وعادوا إلى اليهودية دون خوف.

" لم يكن هناك أى حاجة للتخفى وممن يتم إخفاء القرار بأن دونة جراتسيا قررت فى الحال علنا الرجوع إلى دين آبائها، ومن الآن ستسمى بين اليهود والأغراب "دونة جراتسيا ناسى."(٩٥)

كان هناك محاولات عديدة قد بذلت من أجل إعادة المارانو إلى اليهودية فى ظل حرية العبادة والانفتاح والحريات التى منحت لليهود فى كافة البلدان لممارسة طقوسهم دون أى خوف. وحاولت جماعة يهودية فى انجلترا، حيث يوجد يهود كثيرون من أصل برتغالى، أن يهودوا المارانوس ويدخلونهم حظيرة اليهودية العلنية. كما بذلت جمعية الإليانس(٩٦) جهودا كبيرة واتصلت بهم الوكالة اليهودية مؤخرا ويبدو أنها أقنعتهم بالتهود والهجرة إلى إسرائيل.(٩٧)

منذ نهايات القرن العشرين برزت ظاهرة واضحة بين نسل المارانوس فى المكسيك والبرازيل وجنوب غرب الولايات المتحدة تمثلت فى البحث عن جذورهم وسبل العودة إلى اليهودية بشتى الوسائل. وقد عاد بعضهم إلى اليهودية على يد حاخامات محافظين والبعض على يد حاخامات إصلاحيين. واعترف حاخامات الإصلاحيين والمحافظين بجذورهم اليهودية واعترفوا بهم كيهود بعد ٥٠٠ عام من التخفى وانضم المتنصرون فى الولايات المتحدة بعد عودتهم إلى اليهودية إلى الطوائف اليهودية الإصلاحية والمحافظة. (٩٨)

برزت فى إسرائيل حركة قوية تنادى بعودة المارانوس إلى اليهودية وتهجيرهم إلى المجتمع الإسرائيلى بهدف الاستفادة من نفوذهم المالى والتجارى واستثمار ثرواتهم. (٩٩)

وظهرت منظمة "سبى إسرائيل" فى أسبانيا والبرتغال والتى تعمل على تعزيز الروابط بين اليهود ونسل المارانوس. وترى أن على حكومة إسرائيل والشعب اليهودى واجب تاريخى وهو أن يوطدوا معهم العلاقات وأن يمدوا لهم يد العون والمساعدة. (١٠٠)

عاد كثيرون من أبناء المارانوس إلى اليهودية فى أسبانيا والبرتغال وكان أول حاخام من أبناء هذه الجماعة هو بيسان بن أبراهام. وقد عاد إلى اليهودية فى إسرائيل واعتمد من الربانية وعمل حاخاما للمارانوس فى أسبانيا، كما أنه كان مبعوث منظمة "سبى إسرائيل" وعندما عاد من إسرائيل إلى أسبانيا مرة أخرى بدأ يعلم نسل المارانوس دروس التوراة والثقافة اليهودية ويعيدهم لليهودية. ويعيش اليوم فى أسبانيا مئات آلاف من نسل المارانوس يدركون العلاقة الخاصة بينهم وبين اليهودية.(١٠١)

صرح سفير إسرائيل فى البرتغال أهارون رام ليديعوت أحرونوت أن كثيرا من سكان البرتغال أصله يهودى . وهناك من يروون لى أنهم عن جذوره اليهودية، وأنهم من نسل المارانوس فى أسبانيا والبرتغال، ويحاولون حاليا العودة إلى اليهودية وأحضان الشعب اليهودى. وتقوم حركة "سبى إسرائيل " النشطة بمساعدة المارانوس للعودة إلى اليهودية.(١٠٢)

الخاتمة

استقر اليهود فى الأندلس منذ أزمنة طويلة وشكلوا هناك تجمعات كبيرة فى المدن الكبرى. ويؤكد المؤرخون أن اليهود فى ظل المسيحية لم ينعموا بالهدوء وعانوا من الاضطهاد، واشتد الضغط على اليهود أحيانا لدرجة أنهم أجبروا على أن يعتنقوا المسيحية أو أن يغادروا البلاد بلا رجعة وبطبيعة الحال تظاهر كثيرون منهم باعتناق المسيحية وذلك خوفا على حياتهم وممتلكاتهم.

اتسم الحكم الإسلامى بالتسامح مع اليهود ونتيجة لذلك تمكن اليهود من ممارسة شعائرهم دون خوف وأن يقيموا طقوسهم الدينية دون قيود تحد من حرياتهم. واعتبر اليهود فترة العصر الإسلامى العصر الذهبى لهم ، فازدهرت اللغة العبرية وآدابها والفلسفة اليهودية. لكن مع تراجع الحكم الإسلامى وظهور القوى المسيحية مرة أخرى بدأ الصراع بين اليهود والمسيحيين يظهر مجددا فتنصرت أعداد كبيرة من اليهود وأخفى يهود كثيرون ديانتهم خوفا من البطش.

نتج عن تنصر اليهود ودخولهم المسيحية سواء جبرا أو طواعية ظهور جماعة المارانوس وهى تلك الجماعة التى اعتنقت المسيحية فى العلن وفى نفس الوقت ظلت على الديانة اليهودية تمارس اليهودية سرا.

كشفت الدراسة عن دوافع اعتناق اليهود المسيحية حيث برزت جماعة من المارانو اختارت دخول المسيحية حفاظا على ممتلكاتهم وتجارتهم أثناء فترات الطرد التى تعرض لها اليهود، وبذلك كان التنصر طواعية من منطلق تحقيق مصلحة أو فائدة شخصية. كما

ظهرت فئة من المتنصرين دخلوا المسيحية ظاهريا رغما عنهم حيث خيروا بين المسيحية والموت، فاختاروا المسيحية مجبرين للحفاظ على حياتهم ليشكلا معا المارانو الذين اعتنقوا المسيحية ظاهريا فقط.

أظهرت الدراسة أن جماعة المارانو عاشوا فى خليط عجيب من الطقوس يظهرون المسيحية ويبطنون اليهودية، حيث مارس المارانوس جميع الشعائر التى تقتضيها الديانة المسيحية فى العلن، فكانوا يعمدون أطفالهم ويحرصون على الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد والاعتراف أمام القس والاحتفال بالأعياد المسيحية علانية. ودفنوا موتاهم فى مقابر المسيحيين، بل إنهم تظاهروا بالحماس للمسيحية فى العلن، وكان التظاهر بالإخلاص للمسيحية بهدف خداع المجتمع المسيحى المحيط بهم. وفى نفس الوقت لم يترك اليهود المتنصرون اليهودية حتى إذا اجتمعوا فى داخل بيوتهم عادوا يهودا . مما نتج عنه أن عاش المارانو هوية مزدوجة يحافظون على عاداتهم وتقاليدهم وأنماط حياتهم المزدوجة التى تجمع بين اليهودية والمسيحية.

كشفت الدراسة عن طبيعة الحياة الاجتماعية للمارانوا وخصوصيتها وبخاصة فيما يتعلق بالزواج؛ إذ حرص المتنصرون على عدم الزواج خارج إطار تلك الجماعة منذ بداية تنصرهم. وحتى لا ينكشف أمرهم كانت تتم طقوس الزواج مرتين مرة علنا فى الكنيسة وفق الديانة المسيحية ، ومرة أخرى سرا وفقا لطقوس الزواج بحسب الشريعة اليهودية.

اتسم يوم السبت ،الذى يعتبر يوما مقدسا عند اليهود، بسمة خاصة لدى المارانو فصور الأديب حرص المارانو على التجمع يوم السبت لأداء شعائر إشعال شموع السبت وتلاوة الأدعية الخاصة بهذا اليوم فى نظام سري متفق عليه بعيدا عن أعين المجتمع المسيحى المحيط بهم . وكشف الأديب عن دور المرأة الرئيس فى الحفاظ على الشعائر الخاصة بيوم السبت حيث تقوم المرأة بقيادة العائلة فى ممارسة شعائر إيقاد الشموع وتلاوة الأدعية.

أوضحت الدراسة أسلوب المارانو الخاص للاحتفال بالأعياد اليهودية حيث اكتسبت طريقة الاحتفال بها لديهم طبيعة خاصة تختلف عن سائر الجاليات اليهودية فى العالم لما

لهذه الطائفة من طبيعة خاصة ، حيث ظهرت تقاليد جديدة غير مألوفة لدى اليهود ابتعدت بهم عن تقاليد بقية اليهود ؛ فكانوا لا يحتفلون بعيد الفصح فى نفس موعده المحدد لدى سائر اليهود بغية إبعاد الشكوك عنهم. كذلك لم يتمكنوا من الاحتفال بالحانوكا بإيقاد مشاعل الحانوكا وفق الشريعة. واحتفلوا فى عيد البوريم بصلاة استير ومارسوا شعائر عيد الغفران فى اليوم التالى لموعده لكى لا يفتضح أمرهم.

كما لعبت النساء دورا حيويا فى تقاليد الاحتفال بالأعياد فقادت النساء الاحتفالات الدينية وحفظن عن ظهر قلب الأدعية و التلاوات وما تبقى من سائر تراث اليهودية وكان ذلك مهما بالنسبة لهم لخلو هذه الجماعة من الحاخامات .

أماطت الدراسة اللثام عن موقف رجال الدين المسيحى من المتنصرين والذى اتسم بالموقف العدائى الصارم تجاه المارانو حيث يحرص رجال الدين على تتبع المتنصرين وتطبيق أحكام محاكم التفتيش دون التهاون مع كل متنصر يكتشف أنه ما زال على ولائه لليهودية. أما موقف الجمهور المسيحى العادى من المتنصرين فكان كما وصفه الأديب متوافقا إلى حد كبير مع رجال الدين حيث الرفض والغيرة والكراهية والشك فى ولاء المارانو للمسيحية. وفيما يتعلق بموقف الحكام فكان مختلفا تماما فهو موقف نفعى وسياسى فى المقام الأول تحكمه المنفعة فقط ؛ فيكون متسامحا جدا فى حالة الاستفادة من نفوذ أو من أموال المارانو وخبراتهم الاقتصادية.

على الرغم من اختلاف موقف فقهاء اليهود من المارانوس ما بين فقهاء اعتبروهم مكرهين على أمرهم وأنهم ينتمون لبنى إسرائيل وفقهاء آخرين رأوا أن المارانوس يهود مرتدون وغرباء عن اليهودية وطائفة ملحدة، إلا أن الأديب تبنى موقف رجال الدين الإيجابي من المتنصرين فى عرضه للعلاقة بين اليهود ورجال الدين وبين المارانوس متجاهلا الآراء السلبية. وحرص على تقديم علاقات طيبة ووطيدة تجمع بين المارانوس ورجال الدين اليهودى تتسم بالمودة والحميمية.

عبر الأديب عن تطلعات بعض المارانوس للعودة إلى اليهودية ،والمحاولات التاريخية المختلفة الفردية والجماعية ، فى القرن العشرين، لرد المتنصرين إلى أحضان اليهودية. وربط المارانوس باليهود وبإسرائيل.

الهوامش:

[١] – ولد أمنون شموش فى مدينة حلب عام ١٩٢٩ وهاجر إلى فلسطين عام١٩٣٨. وعند وصوله إلى فلسطين درس فى مدرسة بيالك فى تل أبيب . وتخرج فى كلية بيت بيرل والجامعة العبرية. وهو من مؤسسى كيبوتس "معيان باروخ" الذى يقع على حدود سوريا ولبنان وهناك قام بالكثير من الأعمال ، فعمل راعياً ومرشداً للشباب وسكرتيراً للكيبوتس ثم معلماً فمديراً للمدرسة المحلية ثم الإقليمية **עמק החולה** "عيمق هحوليه" . وهو عضو نشط فى حركات الشباب فى إسرائيل ، وله نشاط بارز فى جلب المهاجرين .

كتب شموش الكثير من القصص والروايات والمقالات والأشعار . وحظى بالكثير من الجوائز الأدبية ، منها جائزة أورشليم الأدبية على اسم عجنون ، جائزة رئيس الوزراء للإبداع عام ١٩٧٩ ، جائزة شالوم عليخم ١٩٨٦ ، جائزة فيتسو للأدب ١٩٨٦.

أما أهم أعماله فهى : **קרחונים ופעמונים**"صقيع وأجراس"١٩٦٦ مجموعة قصصية ، **יומיה**"يوميا"١٩٦٩ رواية ، **דרך אוניה בים** "طريق سفينة فى البحر" ١٩٧٢ رواية قصيرة ، **אחותי כלה** "أختى عروس"١٩٧٤ مجموعة قصصية ، **מישאל עזרא ספרא ובניו**"ميشيل عزرا سفرا وأبناؤه" ١٩٧٨ رواية. **קנה וקנמון** " قصب وقرفة"١٩٧٩ مجموعة قصصية ، **קבוץ הוא קבוץ הוא קבוץ**"الكيبوتس هوالكيبوتس هوالكيبوتس" ١٩٨٠مجموعة قصصية ، **דוואן ספרדי** "ديوان شرقى"١٩٨١مجموعة شعرية، **אתי מלבנון** "معى من لبنان"١٩٨١مجموعة قصصية ، **מעין חתום**"نبع مغلق"١٩٨٤ مجموعة قصصية ، **עלי הגיון בכנור**"أوتار الكمان" ١٩٨٤ مجموعة شعرية ، **הכתר**"التاج" بحث تاريخى عن نسخة التوراة القديمة ليهود حلب، **מן המעין**"من الينبوع" مجموعة مقالات ، **ארזים**"الأرز"١٩٩٠ ، **הר האנוסים** "جبل المتنصرين " ١٩٩١ رواية ."

ويتمتع شموش بموهبة جيدة ولغته ثرية ودقيقة ، ولم تكن أعمال شموش مجرد قصص أصيلة بل إنها تعكس الحياة وتجربة الواقع وتميزت أعمال شموش بالتركيز على سوريا وإسرائيل والكيبوتس.

للمزيد حول أعمال شموش ومكانته على خريطة الأدب العبرى انظر

– **בנימיני יפה:פגישה עם יוצר.המרכז לשלוב מורשת יהדות המזרח' ירשלים .סיון תשמ"ב .**

–בן בנדוטר יצחק:מי ומי בישראל ואישים יהודים בעולם.הוצאה לאור בע"מ'ת"א 1996 1998. עמ"18

- Shaked.Gershon:Hebrew Writers.Published by the institute forTranslation of Hebrew Literature.Tel Aviv 1993 .p116

– שקד גרשון:הספורת העברית 1880–1980 חלק ד.הקבוץ המאוחד.ת"א 1993 . עמ" 173

[٢] – حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى، أطواره ومذاهبه . مكتبة سعيد رأفت. القاهرة ١٩٧٥. ص٢٥٧

[٣] – محمد عبد الوهاب المسيرى : اليد الخفية.دراسة فى الحركات اليهودية السرية دار الشروق . القاهرة . ١٩٩٨. ص ١٣٥

[٤] – האנציקלופדה העברית . כרך רביעי. חברה להוצאות אנציקלופדות. ירושלים, ת"א. תשכ"ט.עמ" 356

[٥] – حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى .٢٥٧

٦ – يواقيم رزق مرقس : تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. إصدار كنيسة مار جرجس . الأسكندرية ١٩٩٧. ص٨٤

[٧] – קרינסקי פיכמן: הסגנון העברי . חלק שני . וורשה.. 1972. עמ" 162

نقلا عن عبد الرازق أحمد قنديل: الأدب العبرى الأندلسى. القاهرة ١٩٩٠ ص٣٥ .

[٨] – ألفت محمد جلال :الأدب العبرى القديم والوسيط. مطبعة جامعة عين شمس. القاهرة. ١٩٧٨ ص٢٢٩.

9 - Parkes James: Ahistory of Jewish people. Pengiun books. Great britaain. 1964. p 48

[١٠] – א אשתור: קורות היהודים בספרד המוסלמית. קרית ספר. ירושלים. 1977. עמ" 30

[١١] – محمد بحر عبدالمجيد : اليهود فى الأندلس . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. القاهرة . ١٩٧٠. ص١٦ .

12 - Poul Borchsenius: The History Of Spanish Jews. Ruskin house'london. 1974 p.45

ילין דוד: חיי היחודים בימי הבינים. הוצאת מסדה , מהדורה רביעית 1984 . עמ" 209

[١٣] – جودت الركابى: فى الأدب الأندلسى. دار المعارف. القاهرة . ١٩٨٠. ص٣٣

[١٤] – حسن حسن كامل إبراهيم: الآراء الكلامية لموسى بن ميمون. مركز الدراسات الشرقية . جامعة القاهرة. العدد. ٧ . ٢٠٠٣. ص٧ .

وانظر : شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين. دار المعارف ١٩٠٤. ص ٨٩

[١٥] – בן ששון חב: תולדות עם ישראל.יזרעאלי. ת"א. 1951.עמ" 16

[١٦] – يواكيم برنز: بابوات من الحى اليهودى. ترجمة خالد أسعد عيسى. دار حسان . دمشق ١٩٨٣ .ص١٤

وأنظر: محمد بحر عبدالمجيد : اليهود فى الأندلس . ص٢١ .

[١٧] – حسن حسن كامل إبراهيم: الآراء الكلامية لموسى بن ميمون. ص ٧ .

Sachar Abraham leon: Ahistory of Jews. Fifth edition. N.Y.1973. p 169

שירמן חיים : השירה העברית בספרד ובפרבאנס. מוסד ביאלק. ירושלים. 1954

[١٨] – للمزيد حول هذا الصراع انظر: أميركو كاسترو : أسبانيا فى تاريخها. ترجمة على إبراهيم منوفى. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة. . ٢٠٠٣ص ٥٧

[١٩] – **אבן חן אלכסנדר: גלות ההגות, יהודי ספרד. מכון שכטר למדעי היהדות. ת"א. 1997 עמ" 36**

[٢٠] – محمد عبد الوهاب المسيرى: اليد الخفية. ص٨٧

[٢١] – **פורטיס תמי : חיי האנוסים בפורטוגל.הארץ 18/1/2008.**

وانظر : محمد عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. دار الشروق. القاهرة. ١٩٩٩ .ص١٣٦

[٢٢] – **"הסיסמה הנשמעת בארצות הנוצריים – "הצלב או המוות "שמוש אמנון: הר האנוסים. מסדה.ת"א 1991. עמ" 57**

[٢٣] – **"לואיזה הנריקס התנצרה , היא ובעלה וילדיה. לא רצו לוותר על רכושם בעיר ובכפר ועל החווילה שלהם במעלה ההר"שם. עמ" 103**

[٢٤] – **" מן ההתחלה, כן, כמובן. פרנציסקו ודיאגו מנדס יהודים ספרדים היו, שברחו מפני האינקוויזיציה בשנת 1492 לפורטוגל עם כל רכושם. שם המשיכו במסחר חובק עולם. שעיקרו אבנים יקרות,בשמים ותבלינים. במקביל הקימו השניים בנק גדול. כשהעמידה גם פורטוגל את הבררה בפניהם להתנצר או לעזוב, קבלו השניים עליהם את הדת הנוצרית– אך יש אומרים שרק למראית עין עשו זאת, ובסתר המשיכו להיות יהודים –חזירים, כמו שקרוי ,מרנים,. " שם. עמ" 103**

[٢٥] – يواكيم برنز: بابوات من الحى اليهودى. ص ٥٩ – ٦٠

ליסק רבקה שפק : מאבק האנוסים נגד הקמת אינקוויזיציה בפורטוגל.

http//www.emago.co.il.

[٢٦] – حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى. ص٢٥٨

[٢٧] – هدى درويش: أسرار اليهود المتنصرين فى الأندلس. دراسة عن اليهود المارانوس. عين للدراسات .القاهرة. ٢٠٠٨ ص٥٤– ٥٥

[٢٨] – **"נזכר במה שלמד בגימנסיה על גרוש ספרד ו פורטוגל ועל רבבות האנוסים שנשארו בארצות הללו, מעמידים פנים כנוצרים אדוקים ושומרים יהדותם בסתר.**

קרא ושמע על האנוסים הללו."שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" ١٥

[٢٩] – "אבות– אבותינו , לפני חמש מאות שנה, היו יהודים, יהודים שהגיעו לכאן מספרד בסמוכה כ,נוצרים חדשים,. ותדע לך, שמיום שהגיעו הם לכאן, גדלה בלמונטה ופרחה.. מה אני אגיד לך? מחציתה השנייה של האמת היא,שבסתר שמרנו על יהדותנו. דור אחר דור, בחיל ורעדה."שם. עמ" ١٦

[٣٠] – " אם כן,במה אתם נוצרים? קתולים?

במה? בכול, בהתנהגותנו כלפי חוץ– אבל לא בלבנו. אבל זה שישאר בינינו, ברור?, אנחנו מטבילים את הילדים והולכים לכנסייה בכל יום ראשון, ומתחתנים ומתוודים אצל הכומר ונקברים בבית–הקברות שלהם. . אנחנו חוגגים את כל חגי הנוצרים באדיקות רבה.

אם אתם כל כך נוצרים, אז היכן היהדות שלכם?

אתה מוזמן אלינו מחר להדלקת נרות של שבת."

שם. עמ" 17

[٣١] – " היהודים האלה כאן בכפר ממתי ידוע לך על חייהם הכפולים?

אין יהודים בכפר. אתה היהודי הראשון בכפר הזה חמש מאות שנה. הם נוצרים טובים, ראשונים לבוא לכנסייה, מרבים לתרום, מרבים להתפלל ולהתוודות."

שם. עמ" 27

[٣٢] –" ברחו באישון לילה ועברו את הגבול לפורטוגל. הלכו והתישבו בלסבון בתוך חבורה של נוצרים חדשים. בכל יום ראשון הקפידו להתייצב בכנסיה. לואיזה למדה את בניה ובנותיה כיצד למלמל בפיהם תפילות עבריות, בשעה שהכל מזמרים לטינית, וכיצד להוציא מפיהם "לחם הקודש" שהכומר מניח על לשונם, מבלי לבולעו. "

שם. עמ" 103

[٣٣] – حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى. ص٢٥٩

[٣٤] – " ספרה לי אלגרה, שלימדוה לומר בלבה עם כניסתה לכנסייה: , אני נכנסת לבית הזה, אבל אני לא מאמינה לא בעץ ולא באבן, אלא באל עליון "

שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" 27

[٣٥] – هدى درويش: أسرار اليهود المتنصرين فى الأندلس. ص٦٣

[٣٦] – פורטיס תמי : חיי האנוסים בפורטוגל.

[٣٧] – " יותר מדי שנים חיינו עם הזהות הכפולה ועם המערכת הכפולה של חגים וטקסים ואמונות, ולא קל להשתחרר.

שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" ٣١

[٣٨] – " הזהות הכפולה, שאותה חיו כאן האנשים דור אחר דור במשך מאות שנים, השפיעה על נפשו של כל אדם בקהילה זו.

תוהה היה רמון מה מכביד יותר על נפשה של נערתו: הזהות הכפולה או הפחד התמיד מפני גילוי הסוד.

שם. עמ" 21 - 22

[٣٩] – " לובש מסכות היה נסים מיום שעמד על דעתו . כבנם של אנוסים אמון היה על מסכות. מאחורי המסכות הללו הסתיר איש התושיה והתחבולה גם סקרנות אינטלקטואלית ומחשבה מעמיקה. דון יוסף נשיא הופתע כאשר העלה נסים בפניו את השאלה: כיצד ניתן לחיות בכפילות אמונה לאורך ימים ושנים? למזלו נולד נסים יהודי וחי כיהודי שלם עם נפשו ועם אלוהיו. סבו נסים האנדלוסי, נולד יהודי ומת כיהודי בסתר לאחר שנים ארוכות ומרות של חיים כנוצרי למראית– עין.לא כן אביו של נסים, שהיה אנוס כל ימי חייו, ששנות ילדותו המעצבות עברו עליו בחינוך נוצרי קפדני, וכשהגיע למצוות, היה כבר קרוע ושסוע בין אמונה, שנטעה בו בילדותו, לבין אמונת הסתרים של אבותיו, שתי תפיסות של טוב ורע, אסור ומותר, שלא יכלו שלא להתנגש בנפשו לאורך כל ימי חייו. "

שם. עמ" ٦٥

[٤٠] – שוחטמאן אליאב: מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות התשובה . דעת .שנת תשנ"ג. עמ" 34

[٤١] – "הסב שידע לקרוא מחשבותיה, הושיט ידו וליטף את שערה. אבל שלא תכניסי לך מחשבות לראש הקטן שלך, את יודעת שאצלנו מתחתנים רק בתוך העדה, ומי כמוך יודע, שסבתא פילסמינה החליטה שאת מיועדת למרקו, בן דודתך

אבל סבא

בלי אבל, ובלי שטיות. מסורת זה מסורת.זה הדבר היחיד ששומר עלינו."

שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" ١٧- ١٨

[٤٢] – "היא מנעה ממנו ורמזה מפורשות, שריינה הבת תתחתן בבוא העת בתוך המשפחה, עם בן דודה יוסף נשיא." שם. עמ" ٤٠

[٤٣] – " את התורה הזאת למדה לכל בני ביתה ופמלייתה, וראש ראשון בהם בן אחיה יוסף, שאותו הועידה להיות חתנה. את הנכס היקר לה ביותר החליטה למסור בידיו, את ריינה השברירית היפהפיה. "

שם. עמ" ٤٥

[٤٤] – يواكيم برنز: بابوات من الحى اليهودى. ص٤٥

[٤٥] – "בניו עוברים לבורדו, אמסטרדם והמבורג. הבן מהמבורג שולח את בניו לקורסאו ולונצואלה, והם משתלטים על יצוא הסוכר, הקקאו, והטבק מארצות אלה אל העולם הישן. בה בעת מתחתנת בתו של אחד מהם עם בן משפחת קוריאל– בנקאים וסוחרים אמידים, מבני האנוסים שהקדימו להגיע לקורסאו וסורינם."

שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" 70

[٤٦] – שוחטמאן אליאב: מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות התשובה .עמ" 21

[٤٧] – "חתונתם של אמיליו ובת–דודתו ססיליה נערכה ברוב – עם בכנסייה כדין וכדת. המשתה נערך בחוץ על הרחבה, למרות העננים . המהנדס רמון ואלגרה רקדו כל הלילה כזוג לכל דבר.תוך כדי ריקוד ספרה אלגרה לרמון, שלאחר וכוח ממושך בין סבה לסבתה נתרצתה זו והסכימה להזמינו לחתונה היהודית, שהמשפחה עורכת למחרת בסתר.

למחרת נתכנסה המשפחה המורחבת בבית פררה. אם החתן ואפ הכלה הובילו את השניים זה אל זה. פתחה סבתא פיליסמינה את ארון הסתרים, הוציאה את פקעת הפשתן השמורה בו לצדם של נרות השמן, הרימה את השביס על ראשה, ובעיניים מצועפות מדמעות קשרה את שמאלו של החתן אל ימינה של הכלה בחוט הפשתן כרוך וקשור היטב, ובירכה אותם בשם " אדוני, אלוהי אברהם יצחק ויעקב". רחש לחשושי " אמן" מלאו את הבית

הנוכחים עזבו את הבית בחבורות קטנות. מבחוץ נראה הבית חשוך ושקט. נראה היה שאנשים אלה אמני הסתר הם. "

שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" ٢٠

[٤٨] – محمد عبد الوهاب المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية .ص ١٣٧

[٤٩] – للمزيد حول أهمية يوم السبت عند اليهود انظر : حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى. ص ١٦٦

– محمد الهوارى : السبت والجمعة فى اليهودية والإسلام. دار الهانى. القاهرة ١٩٨٨

– אלבק שלום: עשרת הדברות ועיקרי האמונה.עשרת הדברות בראי הדורות. ספרית פועלים, ת"א. 1985

[٥٠] – ליסק רבקה שפק : מאבק האנוסים נגד הקמת אינקוויזיציה בפורטוגל.
http//www.emago.co.il.

[٥١] – האנציקלופדה העברית . כרך רביעי. עמ" 356

[٥٢] – " אתה מוזמן אלינו מחר להדלקת נרות של שבת, ולארוחה, כמובן. אבל מה שדברנו ישאר שמור וקבור בינינו.
הרי מעולם לא גלינו דברים אלה לזר. כמה שיננת באוזנינו שלא לספר לאיש על הברכות והתפילות והטקסים הנסתרים."
שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" 17

[٥٣] – "המשפחה, שהתאספה בבית הסב, קבלה את פניו בקרירות. בני המשפחה נכנסו זוגות ויחידים. נוקשים במקוש שעל הדלת פעמים ונכנסים, כמו באות מוסכם.
כולם הגיעו? הנוכחים סקרו זה את זה וענו לה הן במנוד ראש ורמזה האם לבת להגיף את התריסים. עוד זו בדרכה, נשמעה נקישה בדלת. כל הראשים נדרכו בדאגה. הם עדיין חוששים מבלשי האינקוויזיציה..נכנס נער כבן עשר מתנשם ומופתע מקבלת-הפנים הזועמת
אמך אמרה שלא תבוא היום, נזפה בו דודתו.
אבל אני רציתי לבוא.
אז מדוע לא דפקת פעמים?
שכחתי. לא זכרתי שיש עכשיו תפילה.
לא תפילה, הדלקת נרות, תיקנו לו.
סבתא פררה ניגשה אל ארון קיר, שדלתו עלומה מאחורי רהיט, פתחה והוציאה מתוכו שני נרות שמן עשויין פח. נטלה פקעת פשתן והוציאה ממנה שני פתילים, השחילה אותם בפי הנרות, וסקרה את המשפחה לראות אם כולם מוכנים. אלגרה סיימה זה עתה את הגפת התריסים. הרימה סבתא פילסמינה פררה את השביס מכתפיה ועטפה בו את הראש, הדליקה את הנרות ובירכה:
ברוך אתה אלוהים שלי -אדוני שלי- נשמות ברוכות וקדושות מדליקות לפניך את המנורה הקדושה הזאת כדי להאיר, לחגוג ולכבד את הערב הקדוש של יום שישי הקדוש ושל השבת הקדושה עם שמן זית חדש. ברך אותי , את אישי ואת כל עם ישראל. אמן."שם. עמ" ١٩

[٥٤] – هدى درويش : أسرار اليهود المتنصرين فى الأندلس. ص٧٥

[٥٥] – "יפה, מרגש ומסוכן מכל החגים היה חג הפסח.. עשרות משפחות האנוסים בבלמונטה התכוננו בסתר לחג הקדוש.הבגדים הלבנים והכלים המיוחדים הוצאו מעליות הגג אל האוויר הצח לאוורור.

משפחתו של אנטוניו פררה היתה מכונסת כולה בביתו, התריסים והחלונות סגורים, ומסוגרים, וההתרגשות היתה תלויה באוויר. הוציאה סבתא פיליסמינה מפה לבנה רקומה, ופרשה אותה על השולחן העגול שבמרכז החדר. חלקו בנותיה את עשבי המרור בין כל הנוכחים. הניחה הזקנה קופסת עץ במרכז השולחן, פתחה, ונגלתה מפית לבנה עוטפת כדורי בצק קטנטנים. הרימה את המרור שבידה וברכה: " ברוך אתה אדוני, אלוהינו מלך העולם, אשר קדשנו במצוותיו וציווה לנו לאכול מרור.

אכלה את המרור שבידה, נטלה את הקופסה בימינה, כסתה את עיניה בשמאלה וברכה: " ברוך אתה אדוני, אלוהינו מלך העולם, אשר צווה לנו לאכול מצות, אלה המצות שאכלו אבותינו בצאתם ממצרים. וכשם שזוכינו לראות את המצות האלה היום, כן נזכה לאפות אותן מחר ולאכול אותן בחג הקדוש. השנה כאן , לשנה הבאה בארץ המובטחת.

עתה העבירה את הקופסה לבת הבכורה, וזו חזרה על שתי הברכות ואכלה את המרור. כך עברה הקופסה אל כל הנשים הנשואות לפי הסדר, ורק אחריהן הגיע תור הגברים. הגברים לא ידעו את הברכות בעל פה. הנשים שבו ואמרו את הברכות, משפט משפט, והבעלים חזרו אחריהן. ברכו חג שמח, התנשקו והתפזרו איש לביתו.

את המצות אופים מחר. מחמת המרגלים הנוצרים.

כיצד נוצרו מנהגים אלה ומתי וכיצד עברו ממשפחה למשפחה בקהילה המיוחדת הזאת, כיצד נוצרה המסורת המוזרה , ואיך היא נשמרת ומועברת מדור לדור."

שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" 23-22

[٥٦] – **ליסק רבקה שפק : מאבק האנוסים נגד הקמת אינקוויזיציה בפורטוגל.**

http//www.emago.co.il.

[٥٧] – للمزيد انظر : حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى. ص ١٦٩

[٥٨] – **ליסק רבקה שפק : מאבק האנוסים נגד הקמת אינקוויזיציה בפורטוגל.**

http//www.emago.co.il.

[٥٩] – **"כל חג קרב היה מכניס אותה למתח,כביכול, הנה הפעם עלולה היא להיתפס בקלקלתה. ומהי קלקלתה אם לא נאמנותה לעמה ולדתה ולמשפחתה. קלים יחסית היו החגים שצומצמו לצום, מחג הפורים הכירו ושימרו רק את תענית אסתר. את יום הכיפורים חגגו וקיימו למחרת היום הקדוש מחשש להיתפס.**

כשהגיע החורף והגבעות נתעטפו בשלגים מבהיקים, תאווה לעיניים, נסעו הגברים העירה- לגואודה הקרובה או ללסבון הרחוקה- כדי לקנות מתנות לחג המולד. לחג המולד הקטן – הלא הוא חג החנוכה – הסתפקו בהדלקת נרות השבת. חנוכייה מסוכן להחזיק."

שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" 23-22

[٦٠] – **האנציקלופדה העברית . כרך רביעי. עמ" 356**

محمد عبد الوهاب المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية .ص ١٣٧

[٦١] – **פורטיס תמי : חיי האנוסים בפורטוגל.הארץ**

شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين. دار المعارف ١٩٠٤. ص 69

[٦٢] – **"יום אחד ראה הכומר מזווית עינו את לואיזה מקרבת ממחטה אל פיה ומגניבה אליה את לחם הקודש.קצפו יצא על האנוסה החצופה, ועוד באותו השבוע הועלתה דודה לואיזה שלנו על המוקד. בניה ובנותיה ניצלו, כאשר התכחש אביהם לאשתו ולמעשי הכפירה שלה והוסיף תרומה מרשימה לקופת האינקוויזיציה הקדושה, כדי שתוכל לרדוף את הכופרים ולטהר את המחנה של הנוצרים החדשים."**

שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" 103

[٦٣] – **"המבחן הגיע כאשר פשטה הבשורה המרה על ההתעללות באנוסים בעיר אנקונה. האפיפיור, שהשתלט על העיר כשנת 1555, החליט " לבער ממדינתו את נגע האנוסים". התערבות סוחרי העיר, שהראו לו את כתבי–החסות שהוענקו לאנוסים והפצירו בו לא לסכן את עתידה, לא הועילו.**

עזה היתה שנאתו של האפיפיור לאנוסים.הנצול היחיד מאנוסי אנקונה, יהודה פרח, הגיע אל ארמונה של הסניורה וזעק לעזרה ולנקמה.

עשרים וחמשה מאחיי הועלו על המוקד בכיכר העיר,כיוון שלא הסכימו להביע חרטה ולשוב בלב שלם אל חיק הכנסייה. הם הודו שמאז בואם לאנקונה שבו ליהדות. טענתם, ששלטונות העיר התירו להם לעשות זאת, לא הועילה, גם כשהוכח הדבר בתעודות כתובות וחתומתות כדין. באכזיות הובאו הללו אל הכיכר והועלו על המוקד,כשהם זועקים ,שמע ישראל, ואל נקמה ה' , אל נקמה, הופיע..

"שלושים ושמונה איש" המשיך הניצול, נשברו הביעו חרטה ונשבעו לשוב אל חיק הכנסייה בנאמנות. כולם נידונו לעבדות נצח בספינות המשוטים של המדינה."

שם. עמ" ٦٢

[٦٤] – حول العلاقة المضطرب بين اليهود والمسيحيين انظر

– السيد محمد عاشور : اليهود فى عصر المسيح. دار الاتحاد. القاهرة. ١٩٩٢

– عباس محمود العقاد : حياة المسيح. فى التاريخ وكشوف العصر الحديث. نهضة مصر. القاهرة ٢٠٠٥

– مرقس داود: حياة السيد المسيح . دار الكتاب المقدس القاهرة ١٩٩٩

– محمد الهوارى الجدل اليهودى ضد المسيحية فى ضوء الجنيزا القاهرية، مخطوطة بودليان أكسفورد. القاهرة ١٩٩٤

– אשכול אהרון זאב : הדורות האחרונים לתקופת בית שני.כרך א. מוסד ביאליק. ירושלים. 1965.

– הרמן חיים כוהן: משפטו ומותו של ישו הנוצרי. דביר. 2006

– מילטון אורן: ישו והנצרות. הוצאת ספרים שאזליזת:א. 1986

-Hayes carlton j.h' Moon parker Thomas: Ancient and medieval history. The macmillan company. New york. 1960.

- Oscar Cullman: the state in the new testament. New york.. Sharles scribners sons. 1965.

- S. G. E. Brandon. Jesus and the zealots. New york. Sharles scribners sons. 1967.

[٦٥] – هدى درويش: أسرار اليهود المتنصرين فى الأندلس . ص40

[٦٦] – "אחד הנכבדים קם ממקומו, מבקש את רשות הדבור. הוא חכה להנהון, מלווה במצמוץ קל, מן הדוג'ה, ואז פתח ואמר:מה טובה תצמח לנו מן האורחות הללו, שאורחותיהן עקלקלות? מי התיר להם לבוא אלינו?

אחד מחברי "מועצת העשרה" מימינו של הדוג'ה קם להשיב. "האחיות מנדס לבית נשיא קבלו אישור כניסה והבטחת הגנה להן ולפמליה, שמספרם לא יעלה על שלושים נפש, ממועצת העשרה שלנו, בישיבתה ביום 22 במרס 1544, לפני שנתיים בערך. בדיקות שעשינו הראו אז, כי משפחה זאת שומרת על אורח חיים נוצרי למהדריין. שקלנו ומצאנו שעושרה הגדול וקשריה הבינלאומיים יביאו תועלת כלכלית ומדינית מרובה לארצנו."

האם יש לראש המשטרה החשאית מה לומר לנו בנדון? שואל הדוג'ה.

אכן, הוד מעלתך. מיום שהגיעה הפמליה בספינה ממסטרה אנו עוקבים אחריהם . רגלם לא דרכה בגיטו היהודי, ואיש מאנשי הגיטו לא נראה בפלאצו שלהם. אם הם שומרים על מנהגי היהודים, הרי שהם עושים זאת בסתרי סתרים."

שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" 48 - 49

[٦٧] – "הקיסר קרלוס ואחותו המלכה, שהמליך על ארץ השפלה, רתחו מכעס. תחילה כעסו על דונה גרציה שכך עוללה להם, ברחה מתחת לאפם היא וכל הונה האגדי, שהם זקוקים לו כאוויר לנשימה, ואחר כך– במחשבה שנייה – כעסו על עצמם ועל איוולתם, ששהרדיפות שרדפו את משפחת מנדס, מתוך תאוות– בצע וחסרון כיס, הם– הם שהבריחו את התרנגולת המטילה ביצי זהב.

הצטערו הקיסר ואחותו המלכה על מה שעשו, ועוד יותר- על מה שזממו לעשות ונודע, ככל הנראה, לגבירה. את גיסה של דונה גרציה – דיאגו מנדס, שסחרו הקיף עולם ומלואו- הם אסרו באשמה שהוא עוזר לאנוסים לשוב ליהדות, שיש לו קשרי סתר עם יהודי תורכיה ושהוא עצמו יהודי בסתר, כופר בנצרות. הם קיוו שהאשמה האחרונה תיתן בידייהם את כל רכושו והונו שיוחרמו."

שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" 38

[٦٨] – يواكيم برنز: بابوات من الحى اليهودى. ص38

[٦٩] – **"עברו השמועות השתיים בעיר ועוררו גלים – גלים של קנאה וקנאות: קנאה בגבירה העשירה, שמלכים משחרים לפתחה מבקשים הלוואה."**
שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" 37

[٧٠] – **"ונציה קבלה את דונה גרציה ואת פמלייתה הכבודה בזרועות פתוחות. היתה זו התאהבות הדדית ממבט ראשון. עושרה וחוכמתה וקשריה הבינלאומיים של הגבירה שבו את לב שליטי העיר." שם. עמ"40**

[٧١] – هدى درويش : أسرار اليهود المتنصرين فى الأندلس. ص ٤٥

[٧٢] – **"קנאות של נוצרים נאמנים, שהנוצרים החדשים הללו לצנינים בעיניהם, מעמידים פני נוצרים – ונוצרים בלבם אמונת אבותיהם, עוזרים לאחיהם, המציפים את מקומותינו ומתחרים בנו ומתנשאים עלינו, ובסתר לבם אינם אלא יהודים ארורים, שספרד ופורטוגל ידעו להקיאם, ואנו צריכים לבלוע ולעכל אותם ואת המונם, רק משום ששליטינו לוטשים עין אל ממונם." שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" 37– 38**

[٧٣] – كاسترو أميركو: أسبانيا وتاريخها. ص ٧٤

[٧٤] – **"כנוצרים חדשים הם עוברים לבאיון, ושם מתברר להם, שהנוצרים החדשים מופלים לרעה ונאלצים מדי ערב להסתגר בשכונה סנט– אספרי."**
שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" 105

[٧٥] – **"אמרו לו: חנות המכולת הזאת, שראינו אותך בוא אליה, אומנם קרובה היא למגוריך– אבל לא כדאי בעליה יהודיים. עלתה תדהמה והציפה את פניו של זה. תמה ואמר: יהודים?? אמרו לו: " יהודים, מה שאתה שומע . יהודים בסתר, דורות רבים.. הקצב אשר במעלה הרחוב, אדוני המהנדס, יהודי בסתר הוא, ומוטב שתדיר רגליך מחנותו."שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" 14**

[٧٦] – **" הם יודעים שמוצאנו יהודי, ודי להם בזה כדי להבדילנו מעדתם. אבל בכך די נוח לנו, כי גם אנו נשמרים מלהתחתו בהם ולבוא בקהלם." שם. עמ" 17**

[٧٧] – حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى. ص ٢٥٨

[٧٨] – **"אסור שהתוכנית תיוודע לאיש מחוץ לשלושתנו. ואני אוכל להיעזר בקשריי עם אנשי הגיטו, מבלי שידעו למה הם מסייעים."**

"גם אם ידעו" חייכה דונה גרציה, "הרי הם מסייעים לדבר מצווה. תינוקת שנשבתה בין גויים."

שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" 58

[٧٩] – " האח הצעיר ברנרדו יצא מגרנדה למלגה, ומשם הפליג עם אשתו הטריי אל חופי מרוקו. לכאורה דרך קצרה ובטוחה, אך על החוף חיכה לספינה הקטנה שודדים, שהותירו את הגולים עם כותונתם לעורם. רעבים וחולים הגיעו אחר כמה ימי הליכה אל הקהילה היהודית הראשונה, שסעדה אותם בחולים." שם. עמ" 69

[٨٠] – "אני שהנני מאומת היהודים ומדת היהודים, יכול להבטיח לך , שאם תחפצי לשוב אל עמך ואל דתך כפי שעושים רבים מבין אלה המגיעים אלינו תינתן לך גם הגנתו גם ברכתו של הסולטן." שם. עמ" 43

[٨١] – שוחטמן אליאב: מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות התשובה. עמ"27

האנציקלופדה העברית . כרך רביעי. עמ" 356

[٨٢] – פורטיס תמי : חיי האנוסים בפורטוגל.הארץ

[٨٣] – "באותה השעה, שבה התנהלה הישיבה בפלאצו דוקאלה, התקימה פגישה חשאית באי ג'יודקה בין שני נציגים של הגיטו לבין דוד יוסף. קבע עם השניים הסדרים, שבחסותם יקבלו הללו קצבה חודשית למען עניי הגיטו– מתן בסתר, כפי שצווה דיאגו המנוח בצוואתו : בכל מקום, שבו תחיו, חלקו נא מכספי לנצרכים, בין אם הם יהודים, בין אם הם אנוסים, בין אם הם נוצרים חדשים. שסופם של אלה לשוב אל כור מחצבתם. ולעולם אל תשכחו לתת צדקה לעניי עמנו בספרד ופורטוגל. חפשו דרכים ותגיעו אליהם." שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" 51

[٨٤] – "החתונה שימשה הזדמנות נאותה למתן צדקה לעניים היהודים בעיר ובממלכה כולה. היה זה שיאו של מפעל צדקה, שבו פתחה דונה גרציה מאז בואה לארץ החופש,שבה עזרה וצדקה ליהודים לא נחשבה לעוול ולעברה על החוק. בתי חולים, בתי כנסת, בתי יתומים, בתי תמחרי ומוסדות יהודים אחרים נהנו מידה הרחבה של הסניורה – שלא לדבר על פדיון שבויים, שבו עסקו כל סוכניה הפזורים בעולם, על הכנסת כלה ומתן בסתר ותמיכה בחכמים ובתלמידי חכמים שהתאוו להדפיס חיבוריהם. בקושטא נבנתה ישיבה מפוארת, ובסמוך לה הוקם בית כנסת, שנקרא כמובן מאליו בית הכנסת של הסניורה. בסלוניקי הקימה הסניורה את "ישיבת גלות

ספרד". "לבב עמה",כינה אותה אחד מחכמי הדור, והוסיף ופירש: האיבר החש באברם של שאר האיברים "שם. עמ"61

[٨٥] – עזר כהנוב: המכללה האכדמית אחבה. מעוף ומעשה. חוברת 5 אנוסים ושבתאים האופציה שך דתיות כריזמטית. 1996 . עמ"22

[٨٦] – محمد عبد الوهاب المسيرى: اليد الخفية. ص94

[٨٧] – محمد عبد الوهاب المسيرى: اليد الخفية. ص89

[٨٨] – בירנבוים אליהו: יהודי עולמי , תנועת התשובה של הקצין הפורטוגזי www.makorrishon.co.il

[٨٩] – "אינך מבין, ידידי הצעיר.אני בטוח שיום יבוא והוא לא רחוק, ונשוב להיות יהודים שלמים, אך כנראה שהדור שלי עוד לא מוכן לזה. את אשתי ,למשל, לא יוכל איש לשכנע. אני בטוח שיום יבוא, ותהיה כאן קהילה יהודית שתחדש את בית הכנסת שהיה כאן במאה ה13. "שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" 31

[٩٠] – ליפשיץ כנען: צאצאי האנוסים בפורטוגל מגלים את יהדותם .הארץ 11/ 9/ 2009

[٩١] –"כבר היו דברים מעולם", אמר לו אנטוניו, " כבר ניסו להשיב אותנו ליהדות שלמה ונקייה– אך המסורת העיקשת, שנתגבשה במשך דורות, לא הצליחה לעכל את זה." ניסו? מי? מתי?"

"מעשה בקולונל מן העיר פורטו- בראש באסטו שמו- שגילה שמוצאו יהודי. קם והתחיל מחפש אנוסים ומשיב אותם אל עמם ואל דתם. למד יהדות ובנה בית כנסת והעמיד תלמידים ופרסם כתב-עת בשם 'הלפיד' ומה לא עשה, כשהגיע אלינו – נעצר. יותר מדי שנים חיינו עם הזהות הכפולה ועם המערכת הכפולה של חגים וטקסים ואמונות ולא קל להשתחרר. "שמוש אמנון: הר האנוסים. עמ" 31

[٩٢] – " אז ככה. חואן– אחיו של נסים האנדלוסי– מתנצר יחד עם אשתו ושני בניו, אך מחליט לצאת לדרך ולמצוא מקום, שבו יוכל לשוב ליהדות. "שם. עמ"105

[٩٣] – "שעל–כן הפצרתי בדודתי, שמצבה הרוחני כמצבי, להזדרז ולצאת מארצות האינקוויזיציה למקום, שם נוכל לשוב בגלוי ליהדות ולחיות חיים שלמים ושלווים: שלמים עם אלוהינו, ושלווים עם נפשנו." שם. עמ"66

[٩٤] – "אמא מתכוונת להגיע בסופו של דבר לקושטא, הסמוכה לירושלים. שם נוכל ,כאן היא עברה לדבר בלחש, לשוב ליהדות באין מפריע."שם. עמ"55

[٩٥] – " לא היה מה להסתיר וממי להסתתר. בהחלטה בת הרגע הודיעה דונה גרציה ברבים

שהיא שבה אל דת אבותיה , ומעתה ייקרא שמה בישראל ובגויים "דונה גרציה נשיא. " שם. עמ"56

[٩٦] – حول تعريف الإليانس انظر : أمين عبد الله محمود : مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. عالم المعرفة المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب. الكويت ١٩٨٤ . ص٦٢

[٩٧] – محمد عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ص١٣٨

[٩٨] – **ליסק רבקה שפק : מאבק האנוסים נגד הקמת אינקוויזיציה בפורטוגל.**

http//www.emago.co.il.

[٩٩] – **בירנבוים אליהו: יהודי עולמי , תנועת התשובה של הקצין הפורטוגזי.**

www.makorrishon.co.il

[١٠٠] – **אלכס דורון ואלי ברדנשטיין: האם התגלו צאצאי האנוסים בספרד? מעריב. 7/12/2008**

[١٠١] – **מזורי דליה: צאצא האנוסים חוזר לספרד. מעריב. 10/2/2010**

[١٠٢] – **ניומן גבי: האנוסים חוזרים. ידיעות אחרונות. 8/1/2008**

قائمة المصادر والمراجع

أولا باللغة العربية

- ألفت محمد جلال :الأدب العبرى القديم والوسيط. مطبعة جامعة عين شمس. القاهرة. ١٩٧٨
- أميركو كاسترو : أسبانيا فى تاريخها. ترجمة على إبراهيم منوفى. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة. . ٢٠٠٣
- أمين عبد الله محمود : مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. عالم المعرفة المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب. الكويت ١٩٨٤
- جودت الركابى: فى الأدب الأندلسى. دار المعارف. القاهرة . ١٩٨٠
- حسن حسن كامل إبراهيم: الآراء الكلامية لموسى بن ميمون. مركز الدراسات الشرقية. جامعة القاهرة. العدد. ٧ . ٢٠٠٣.
- حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى، أطواره ومذاهبه . مكتبة سعيد رأفت. القاهرة ١٩٧٥.
- السيد محمد عاشور : اليهود فى عصر المسيح. دار الاتحاد. القاهرة. ١٩٩٢
- شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين. دار المعارف ١٩٠٤
- عباس محمود العقاد : حياة المسيح. فى التاريخ وكشوف العصر الحديث. نهضة مصر. القاهرة ٢٠٠٥
- عبد الرازق أحمد قنديل: الأدب العبرى الأندلسى. القاهرة ١٩٩٠
- محمد بحر عبد المجيد : اليهود فى الأندلس . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. القاهرة . ١٩٧٠

– محمد عبد الوهاب المسيرى : اليد الخفية.دراسة فى الحركات اليهودية السرية دار الشروق . القاهرة . ١٩٩٨

– محمد عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. دار الشروق. القاهرة. ١٩٩٩

– محمد الهوارى : السبت والجمعة فى اليهودية والإسلام. دار الهانى. القاهرة ١٩٨٨

– محمد الهوارى: الجدل اليهودى ضد المسيحية فى ضوء الجنيزا القاهرية، مخطوطة بودليان أكسفورد. القاهرة ١٩٩٤

– مرقس داود: حياة السيد المسيح . دار الكتاب المقدس القاهرة ١٩٩٩

– هدى درويش: أسرار اليهود المتنصرين فى الأندلس. دراسة عن اليهود المارانوس. عين للدراسات .القاهرة. ٢٠٠٨

– يواكيم برنز: بابوات من الحى اليهودى. ترجمة خالد أسعد عيسى. دار حسان . دمشق ١٩٨٣

– يواقيم رزق مرقس : تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. إصدار كنيسة مار جرجس . الأسكندرية ١٩٩٧

ثانيا باللغة العبرية

- א אשתור: קורות היהודים בספרד המוסלמית. קרית ספר. ירושלים.1977
- אבן חן אלכסנדר: גלות ההגות, יהודי ספרד. מכון שכטר למדעי היהדות. ת"א. 1997
- אלבק שלום: עשרת הדברות ועיקרי האמונה.עשרת הדברות בראי הדורות. ספרית פועלים, ת"א. 1985
- אלכס דורון ואלי ברדנשטיין: האם התגלו צאצאי האנוסים בספרד? מעריב. 7/12/2008
- אשכול אהרון זאב : הדורות האחרונים לתקופת בית שני.כרך א. מוסד ביאליק. ירושלים. 1965.
-בן בנדוטר יצחק:מי ומי בישראל ואישים יהודים בעולם. 1996- 1998.

- בן ששון חב: תולדות עם ישראל. .יזרעאלי . ת"א. 1951.
- בנימיני יפה:פגישה עם יוצר.המרכז לשלוב מורשת יהדות המזרח' ירושלים . סיון תשמ"ב .
- האנציקלופדה העברית . כרך רביעי. חברה להוצאות אנציקלופדות. ירושלים, ת"א. תשכ"ט.
- הרמן חיים כוהן: משפטו ומותו של ישו הנוצרי. דביר. 2006
- ילין דוד: חיי היחודים בימי הבינים. הוצאת מסדה , מהדורה רביעית 1984
- ליפשיץ כנען: צאצאי האנוסים בפורטוגל מגלים את יהדותם .הארץ 11/ 9/ 2009
- מזורי דליה: צאצא האנוסים חוזר לספרד. מעריב. 10/2/2010
- מילטון אורן: ישו והנצרות. הוצאת ספרים שאזליץ.ת"א. 1986
- ניומן גבי: האנוסים חוזרים. ידיעות אחרונות. 8/1/2008
- עזר כהנוב: המכללה האכדמית אחבה. מעוף ומעשה. חוברת 5 אנוסים ושבתאים האופציה שך דתיות כריזמטית. 1996 .
- פורטיס תמי : חיי האנוסים בפורטוגל.הארץ 18/1/2008.
- קרינסקי פיכמן: הסגנון העברי . חלק שני . וורשה.. 1972.
- שוחטמאן אליאב: מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות התשובה . דעת . שנת תשנ"ג.
- שירמן חיים : השירה העברית בספרד ובפרבאנס. מוסד ביאלק. ירושלים. 1954
- שמוש אמנון: הר האנוסים. מסדה.ת"א 1991
- שקד גרשון:הספורת העברית 1880-1980 חלק ד.הקבוץ המאוחד.ת"א . 1993

ثالثا باللغات الأجنبية

-Hayes carlton j.h' Moon parker Thomas: Ancient and medieval history. The macmillan company. New york. 1960.
- Oscar Cullman: the state in the new testament. New york.. Sharles scribners sons. 1965.
-Parkes James: AHistory of Jewish people. Pengiun books. Great britaain. 1964.
-Poul Borchsenius: The History Of Spanish Jews. Ruskin house'london. 1974

- S. G. E. Brandon. Jesus and the zealots. New york. Sharles scribners sons. 1967.
- Sachar Abraham leon: Ahistory of Jews. Fifth edition. N.Y.1973.
- Shaked Gershon: Hebrew Writers. Published by the institute for Translation of Hebrew Literature. Tel Aviv , 1993 .

رابعا مراجع شبكة المعلومات الدولية : الأنترنت

ליסק רבקה שפק : מאבק האנוסים נגד הקמת אינקוויזיציה בפורטוגל.
http//www.emago.co.il.
בירנבוים אליהו: יהודי עולמי , תנועת התשובה של הקצין הפורטוגזי.
www.makorrishon.co.il